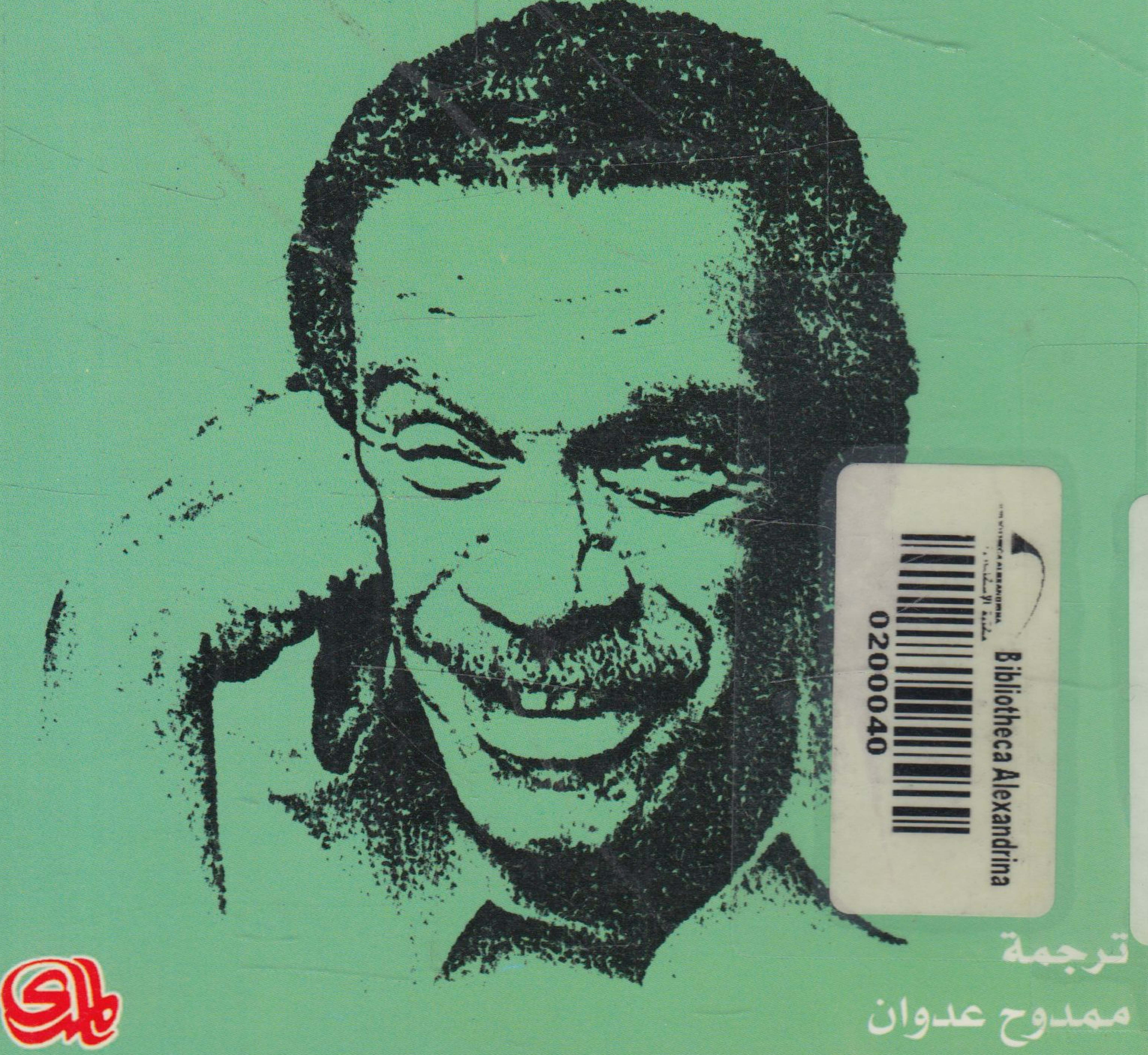
١٩٩٢

مكتبة نوبل

ديريك والكوت

عودة أوليس

(أوديسة)



ترجمة
ممدوح عدوان

عودة أوليس

(أوديسة)

١٩٩٢
مكتبة نوبل

ديريك والكوت

عودة أوليس

(أوديسة)

ترجمة

ممدوح عدوان



مكتبة نوبل



اسم المـــؤلف : ديريك والكوت
عنوان الكتــاب : عودة أوليس (أوديسة)
تـرجـــمـــة : ممدوح عدوان
الـنـاشـــــــر : دار المدى للثقافة والنشر

الطبـعـة الأولى : ١٩٩٨

Author: Derek Walcott
Title : The Odyssey
Translator: Mamdouh Adwan
Al- Mada : P. C.

First Edition 1998

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١
فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or
7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon,
Fax : 9611- 426252

الفصل الأول

برولوغ

«صوت الأمواج»

بيلي بلو : «يغني» سأغني عن ذلك الرجل ، لأن قصصه تسرنا
ذلك الذي عرف المحن والأعاصير طوال عشر سنوات بعد
طروادة .
أنا بيلي بلو الأعمى ، المساعد الأول لسيدي ، سيد البحر ،
أوليس .
ذلك الذي جنّنه إله البحر وحاول تحطيمه .
أندر ا موا إينيب موسا بولوتروبون هوس نالا بولا...
ومكوك البحر يروح ويجيء على هذا السطر .
طوال الليل ، مثل الأمواج ، تتناوب وتترنح ولا تنام
ثم ، وعند الفجر تفك أصابعُها الوردية عرى المكيدة .
وحين تسمع هذا الوتر «وتر»
أنظر إلى جانحي السنونوة ؛
السنونوة التي تنطلق نحو البحر مثل الرسول
عابرة جزراً مزرقة بالدخان ، وسعيدة لأن ملوك طروادة
عائدون إلى بيوتهم . وأن سنوات حصارها العشر قد
انتهت .

وهكذا تطفو أغنياتي من نار تلك الحرب مثل الدخان .
فمنذ أن صار آخيل رماداً تداعت الأشياء .
آخيل ذو الخطوات البطيئة ، والذي وضع التعويذة على هكتور .
سنونوة تسقسق في طروادة . ومن هنا نبدأ .
« يخرج »

المشهد الأول

«طروادة . ظلام . دخان كثيف . الملوك أغاممنون ومينيلاوس ونستور وأجاكس وترزيتس ، المرتزق ، وكومة من السلاح على المحرقة . طبول»

أغاممنون : كوموا أسلحتنا المهترئة على هذه الصوة المتذكرة .

نستور : إلى أن تصدأ تحت الهواء المالح ،
وإلى أن تلفها أستار الرمال .

مينيلاوس : حولوا مناقير سفننا الفاغرة صوب الوطن من جديد .

أجاكس : طالما أن طروادة قد صارت سهلاً من الرماد
الذي تتصاعد منه الأشرعة .

ترزيتيس : إلى أن يسأل الناسُ الفرغاظةَ اللامعة : «أكانت هناك ؟» .

أغاممنون : أكان هنا أن رماحهم شبكت محرقة آخيل ؟

نستور : ذلك الذي قعقع برمحه ضارباً بوابة السماء .

أغاممنون : طوال تلك الحرب الطويلة
كان البيت رغبتنا الدائمة والمديدة .

مينيلاوس : كانت حربي أنا مينيلاوس من كانت زوجته سبباً لها .

أجاكس : وحربي ، أنا أجاكس ، وريث درع آخيل .

«يدخل أوليس* من بعيد»

أولـــيـــس : ماذا ؟

تـرزيـتـيـس : ليست حربي أنا ترزيتس

الذي لا زوجة له ولا ابن ولا بيت .

أغـامـمـنـون : وأوليس البارع .

نـسـتـور : وحربي أنا .

«صمت . ترفرف سنونوة . يتطلعون إلى الأعلى» .

مـيـنـيـلاوس : هذه السنونوة تواقة للرحيل . أين أوليس ؟

تـيـرزيـتـس : في خيمته . يتفحص جزيته .

أجـاكـس : مرة أخرى ننتظر .

«يتقدم أوليس وهو يأكل» .

أغـامـمـنـون : إننا نكوم العطايا على ضريح آخيل .

من أي حجم .

«أوليس يقدم أعطيته الصغيرة» .

أولـــيـــس : هاكم . لم أستطع اختيار ما أقدمه .

وآسف لتأخري .

«صمت» .

أيها الميت المحظوظ

الذي لا يميز الأعداء من الأصدقاء .

«صمت» .

لقد ضن عليك أغاممنون ببريزيس ذات الشعر اللاهب .

«صمت» .

---

* معروف طبعاً أن اسمه يلفظ أوديسيوس . ومنه اسم الملحمة «الأوديسة» . ولكنني فضلت الإبقاء على لفظ أوليس كما هو معروف لقراء العربية .

وسخر منك مينيلاوس قائلاً إنك «المحرَّر من الفئران» .

« صمت » .

والآن ينعكس مجدك كله في عيونهم .

نــســتــور : وهذا الترس الذي صنّعه هيفايستوس من سيرته ؟

« يرفع الترس »

تــيـرزيـتـس : لقد أوصى به لأوليس في المعركة .

أجــاكـــس : كان آخيل متقلب الأهواء .

وقد وعدني به أولاً .

أولـــيـــس : أين كان ذلك ؟

أجــاكـــس : إسمع . وجود ادعائين يسيئ إلى روحه .

خذ الترس أنت .

أولـــيـــس : لا . لا . أنت تأخذه يا أجاكس .

أنت قاتلت ببسالة أكبر .

أجــاكـــس : أسمعتني أقول ذلك ؟

هل سبق لي أن تفاخرت بذلك ؟

مـيـنـيـلاوس : بحق الله . إنها محرقة دفنه . فدعوه يرتح .

« يعطي الترس لأوليس » .

أجــاكـــس : إحمله أيها الغيلم .

واستغرق عشر سنوات لكي تصل إلى شواطئك .

أغـامـمـنـون : والآن دعوا قرون الأكباش الملتفة

تئن معلنة رحيلنا .

مـيـنـيـلاوس : ودعوا ريش النسور توجه رحيلنا عبر زبد الغيوم .

« أبواق وطبول » .

أغـامـمـنـون : دعوا هذه الرايات تخفق بعد عشر سنوات من الحرب .

نــســتــور : ولتعجل أثينا ذات الكعبين الرطبين
بسفننا المتشوقة إلى الوطن .
«يخرج الجميع باستثناء ترزيتس وأوليس ، الذي يسترد المزيد من التذكارات من الكومة» .
تــرزيــتــس : ها نحن عراة من جديد . ودروعنا تتساقط .
أولــيــس : العودة إلى ظل شجرة التين ،
وإلى عصر الخمر ، والمزرعة .
تــرزيــتــس : علّق هذا الترس على كلاّب .
ولكن الصرخات ستظل ترن عليه .
أولــيــس : وكيف ستعيش ؟
تــرزيــتــس : كلب الحرب العجوز ؟
العاري من أسمال الشهرة .
أولــيــس : أنا أعرف لماذا أنت آسف على النصر .
تــرزيــتــس : نعم ؟ إنك تكمل لي انزعاجي وخيبتي .
أولــيــس : ماذا بعد النصر ؟
تــرزيــتــس : السلام . اللعنة على السلام . حيث لا مال .
أولــيــس : السلام يخرب بيوت المرتزقة .
تــرزيــتــس : أليس كذلك ؟ سأنتبه إلى هذه الحقيقة .
أولــيــس : إنه يرخّي روابط الحرب . هذا ما تشعر به .
تــرزيــتــس : وبالطبع أنت تظن أنك تعرف سر انزعاجي .
أولــيــس : ظهر أبيض ودافئ يتكور ملتصقاً بك .
وسقف بيتك .
تــرزيــتــس : السماء هي سقفي .
وهذا السيف هو الذي ينام مع ترزيتس .

أولـــيـــس : فليكن لك ولد .
تـــرزيـــتـــس : وكلب . وحديقة مزهرة .
أولـــيـــس : تعال إلى إيثاكا .
تـــرزيـــتـــس : أتستطيع أن تعدني بحرب ؟
أولـــيـــس : لا . علّق سيفك على كلاّب .
تـــرزيـــتـــس : ماذا ؟ أعلق زوجتي ؟
أولـــيـــس : أجسادنا ذات الضلوع النافرة تشتاق إلى شواطئها الأولى .
تـــرزيـــتـــس : ما عدا هذا الجسد .
الذي لم يجد أي شاطئ يصدقه .
أولـــيـــس : أعرني زوجتك . أقصد سيفك .
هذه رغبتي يا ترزيتس .
«ترزيتس يعطي سيفه إلى أوليس الذي يخطط به على الرمل» .
تـــرزيـــتـــس : أضلاعي البيضاء ،
هي القيثارة التي ينقر عليها سرطان البحر بأصابعه .
أولـــيـــس : جزيرتي ذات الحصى في المياه الضحلة
وعرة جداً على الخيول .
تـــرزيـــتـــس : ولكن ترزيتس يحب الخيول . حظه المعهود .
أولـــيـــس : أنا أورثه الحَوْر الزاحف في جبل نيريتون .
تـــرزيـــتـــس : سأطلب منه التوقف يا رجل .
الأشجار تنشر السلام . أنا أنسحب .
أولـــيـــس : وستكحم من بعدي .
تـــرزيـــتـــس : أتبول على العامة والجماهير .
«أوليس يخطط على الرمل» .
أولـــيـــس : خذ كلب صيدي يا أرغوس .

تـــرزيـــتـــس : خلاصة الكلام . أنا منسحب .
أولــــيـــــس : لماذا ؟
تـــرزيـــتـــس : أكره الكلاب . المريّلة .
المصمتة على الألم ، وعلى المشاعر .
أولــــيـــــس : إفتح بوابات هذه الأسنان المقفلة .
واعترف بالحب يا صديقي .
تـــرزيـــتـــس : سأقول بفك مكشرة . لقد أحببتك . هيا بنا .
« يتعانقان . ويخرجان من جهتين مختلفتين .
ضجيج من بعيد . همهمة . راياتٌ وصوارٍ .
يدخل بيلي بلو » .
بـيـلـي بـلـو : ثم ، وحين بدأت الغابة البطيئة من الأشرعة اليونانية إبحارها ،
« صرخة طويلة لامرأة أو طائر » .
سمعوا الصرخة المديدة لامرأة أو لطائر فرقاط*...
واخترقت تلك الصرخة قلوبهم ،
وأيقظت فيها كل ما كانت تنذر به :
كانت هيكوبا تبكي على قبور أولادها .
صرخة جنائزية مثل تمزيق ثوب ، ثم همهمة هائلة .
أجنحة رايات خافقة وهي تنشر مثل الكراكي .
جوقة الجيوش : « من بعيد » أيها الجنود والكتائب .
أنشروا رايات العودة إلى الوطن .
بـيـلـي بـلـو : مثل طيور الكراكي التي تسوّد وجه السماء

* طائر بحري يسلب طعام الطيور الأخرى .

جوقة الجيوش : قبل أمطار الشتاء .

عظام رفاقنا تصطك مثل النرد على هذا الشاطئ .

بـيـلـي بـلـو : جنود من بيلوس ، وكتائب من إيدا ، رجال جميلون .

جوقة الجيوش : أضلاعهم البيضاء ترفع الشراع الأسود للنسور .

بـيـلـي بـلـو : كتائب من أسبليدون ، وجنود من حَور يتساقطون .

وبـعـد ذلك شـراع . يـزحـف عـلـى وجـه الـبـحـر طـوال عـشـر سنين .

« يخرج » .

المشهد الثاني

« إيثاكا . بعد عشر سنين . تيليماكوس جالس وهو يحدق في مقعد آخر . تدخل يوريكليا ومعها خمر . تنتظر » .

تيليماكوس : حدثتني سنونوة عن طرف هذا الكرسي .

يوريكليا : أأرسلت في طلب الخمر ؟ ما الذي يحدث لقبطانك البحري ؟

تيليماكوس : يستطيع المصطفى أن يأخذ أشكالاً طبيعية بيوريكليا .

يوريكليا : يا إلهي . عصفور يذهب بعقل هذا الصبي .

تيليماكوس : لقد زقزق قائلاً : « سوف يرجع » .

يوريكليا : هذه الأفكار كالقش وهي تحوم حول أبيك .

تيليماكوس : زقزقة سنونوة واحدة تشغّل آلة التدمير .

يوريكليا : وهذا العش فارغ . هذا البيت الذي يجب أن يكون فيه .

تيليماكوس : أنت قلتِ إن أثينا ، ذات العين البحرية ، مصرية .

يوريكليا : ولكن لم يسبق لي في حياتي أن سميت العصفور قبطاناً .

تيليماكوس : هي قالت إنها جادلت الإله لإنقاذ أبي .

يوريكليا : أنا أحكي لك قصص نانسي وهوديسيوس .

تيليماكوس : أنا أصدقها الآن . وإيماني أصيب بالحمى .

يوريكليا : فتلقي بمهدك الصغير في بحار الأحلام .

تيليماكوس : ماذا كانت تلك القصص ؟ خرافات عبد عجوز ؟

يـوريـكـلـيـا : لم يعد الناس يصدقونها الآن . لقد تمدنوا كثيراً .
تـيليمـاكـوس : إن لها صوت فتاة .
يـوريـكـلـيـا : «تضحك» فتاة ؟ هذا سبب تشتتك إذاً .
تـيليمـاكـوس : لماذا ؟
يـوريـكـلـيـا : الفتاة تجعل الأمر مفهوماً .
ولكن حين يتم تجسيد العصفور...
تـيليمـاكـوس : كان أنيقاً وملتحياً وصغيراً جداً على طروادة .
يـوريـكـلـيـا : طروادة من عمرك يا تيليماكوس .
آلام عشرين سنة .
تـيليمـاكـوس : إنها هنا يا يوريكليا .
يـوريـكـلـيـا : أنا عجوز . لا تسخر مني يا ولد .
تـيليمـاكـوس : صدقيني .
يـوريـكـلـيـا : ضاع إيماني . ولم يعد من الممكن استعادته .
تـيليمـاكـوس : بالنسبة لي ولأبي كنت جارية ومربية .
يـوريـكـلـيـا : نعم . مصر هي التي تهز مهد اليونان إلى أن تنضج اليونان .
تـيليمـاكـوس : فلماذا تشكّين إذاً في الإلهة الموجودة في زقزقة السنونوة ؟
يـوريـكـلـيـا : طيب . إن كان هذا العصفور قبطانك فدعه يقف هناك .
«قبطان بحري ، الكابتن منتس ، يظهر»
تـيليمـاكـوس : عاد إيمانك .
يـوريـكـلـيـا : «تلتفت» إغفر لي خطاياي يا سيدي .
ألأنت هو ؟
الكابتن منتس : خطاياك عميقة الغور في قدمها .
وقد نسيها الإله .
يـوريـكـلـيـا : أنا يوريكليا . وقد ربيت الولدين .

تيليماكوس : هذا هو الكابتن منتس .

الكابتن منتس : مع والده سبحت في دخان طروادة الذي يغلف الزمن .

يوريكليا : ولماذا لم تأت إلا الآن ؟

الكابتن منتس : لأنه في خطر .

يوريكليا : هذا الفتى قد بلغ أشده .

والخاطبون لا يريدون وريثاً .

الكابتن منتس : قد تحدث أمور غريبة هنا .

ولكن سيكون هناك ما هو أكثر غرابة .

تيليماكوس : لقد رشقتنا سنونوة بالضوء يا يوريكليا .

يوريكليا : أنا أتطلع إلى الإله ولا أستطيع أن أتذكر خطاياي .

تيليماكوس : لقد أدرت ظهري . كنا نتحدث . ثم اختفيت .

الكابتن منتس : ذهبت إلى النافذة .سفينتي تحمل البرونز .

« صخب من الخاطبين » .

تيليماكوس : تستطيع أن تسمع بنفسك .

الكابتن منتس : ولم هذا الاحتفال كله ؟

تيليماكوس : وماذا غير ذلك ؟ إنه زواج أمي .

والسهر على موت أبي .

يوريكليا : إنهم يندفعون كالقيء من فتحة ذلك الباب .

الكابتن منتس : لقد نضجت . وتعرفين ما الذي يجب أن تتعهديه .

يوريكليا : مئة خنزير يتدافعون ليولغوا أخطامهم في حوض أمه .

تيليماكوس : إنهم ينخرون ويتطاحنون إلى أن تنتهي من حياكة وشاحها .

يوريكليا : مئة هناك في الداخل يا كابتن . كثيرون .

تيليماكوس : ضاع أبي . ودخل إيماني بين الغيم .

الكابتن منتس : سيثبتهم . ووتر قوسه يطن مثل سنونوة .

تيليماكوس : لا أستطيع ترك أمي معهم . لا يجوز .

الكابتن منتس : إسمع . اليوم الذي تختار أمك فيه سيكون يوم موتك . يجب أن ترحل الآن .

يوريكليا : ستختار واحداً .

الكابتن منتس : وسيقتلك ذات ليلة .

« يدخل الخاطبون السكارى ـ أنتينوس ويوريماكوس وأمفينوموس وكتيسيبوس وليوديس ـ وهم يجرون بيلي بلو والجواري معهم » .

أمفينوموس : ما الذي يفعله الولد هنا ؟

هذا الأمر ليس من شأنك يا فتى .

« شجار عنيف . يتقاذفون تيليماكوس » .

يوريماكوس : سنظل نفعل ذلك إليأن نسمع شيئاً من أمك .

كتيسيبوس : ومن هو صديقك ؟

« يحتشدون حول تيليماكوس ومنتس » .

أمفينوموس : ألا ترون أن الولد يشتاق إلى أبيه ؟

يوريماكوس : أبوك مات . ويجب أن تختار أباً آخر من بيننا .

« صمت » .

الكابتن منتس : لماذا هدأوا بغتة ؟

تيليماكوس : من أجل أمي .

« يتراجع الخاطبون وهم يترنحون . يدحل ضوء من باب مفتوح . بنلوبي تمر محجبة » .

الكابتن منتس : يفسحون مثل الهضاب أمام شراع يدخل الميناء .

تيليماكوس : يلجمهم مرورها في كل مرة تظهر فيها .

يوريكليا : إنها ترجو الشاعر أن يتوقف عن التغني بالحرب .

« يتدافع الخاطبون محتشدين حول بنلوبي » .

أمفينوموس : صوبي على قلبي . قوّسي زندك الأبيض هذا .

يوريماكوس : لقد مرت ثلاث سنوات .

كتيسيبوس : ليس ليوديس . فقضيبه شمع ناعم . سيذوب .

ليوديس : ليس كتيسيبوس المدعي ، الذي ينتف حاجبيه أمام المرآة .

كتيسيبوس : العضو الصغير القميء .

ليوديس : وجهه هو كل ما يستطيع أن يحبه .

يوريماكوس : إكشفي عن معبد ذلك الحاجب أمام متعبديه .

كتيسيبوس : هاتان العينان ، الزيتونتان السوداوان ،
وذلك الجبين الذي يذهل برخامه .

« بنلوبي ترفع حجابها عن وجهها » .

أمفينوموس : ابتسامتها مثل ضوء الشمس الذي يحف بالنافذة .

كتيسيبوس : إلى أن يضيء أنتينوس أميرها المفضل .

« تخرج بنلوبي وبيلي بلو والجواري ماعدا ميلانتو . تيليماكوس يتقدم نحو الخاطبين » .

تيليماكوس : لقد أقمت الحداد على غياب أبي .
وسرعان ما سأثأر له .

كتيسيبوس : يا له من تهور طريف يا تيليماكوس .

يوريماكوس : نحن مئة يا ولد . كيف ستتدبر الأمر ؟

تيليماكوس : أيها الخنازير . ابتداء من هذا اليوم ستتوقفون عن اقتلاع بيتي .

« يخرج الخاطبون » .

الكابتن منتس : توجه نحو رمال بيلوس الشاسعة .
وابحث عن نستور .

تيليماكوس : الآن ؟

الكابتن منتس : وبعدها أسبارطة . واعثر على مينيلاوس ذي الشعر الأحمر .

تيليماكوس : هناك رحلتان طويلتان يا كابتن . عمَّ هو السعي ؟

الكابتن منتس : أتريد أن يعبر شبح أبيك هذا البيت ؟

تيليماكوس : يا إلهي .

الكابتن منتس : لدي عشرون بحاراً مجدفاً ينتظرون وهم ممسكون بمجاديفهم .

تيليماكوس : واحد مقابل كل سنة ضيعت . وهم رجال أية سفينة ؟

الكابتن منتس : سفينة صفراء مستدقة الطرف مثل منقار الصقر ؟ سفينة أنتينوس .

تيليماكوس : استوليت عليها ؟

الكابتن منتس : استعرتها . المهم . كانت هنا تحت اليد .

تيليماكوس : وهي جاهزة ؟

الكابتن منتس : مع جرار الشعير المطحون .

تيليماكوس : حسن . أذهب إلى بيلوس إذاً . وماذا بعد أن أكون هناك ؟

الكابتن منتس : إجمع العجائز . واطلب جلسة حوار كبيرة .

تيليماكوس : هؤلاء العجائز يحبون الشجار . إنهم حزمة من العصي المقعقعة .

الكابتن منتس : حبل صوتك سيربط هذه العصي معاً .

تيليماكوس : إنني أحسد أبي على سلطته .

الكابتن منتس : أو حيله .

تيليماكوس : حيل ؟

الكابتن منتس : أنا أيضاً رأيت الحصان الخشبي وهو يحجب النجوم .

«تخرج ميلانتو» .

الكابتن منتس : طروادة سقطت بفضله .

تيليماكوس : أكان هو المبرز ؟

الكابتن منتس : حصان يلد الرجال . اعتبروه شيئاً مضحكاً .

تيليماكوس : هو قادر على إقناع الجندب أنه نملة .

الكابتن منتس : أنظر . سنونوة تحاول أن تعبر السقف .

«يخرج» .

يوريكليا : أنا لا أراها . وأين ذهب الآن ؟ كيف حدث ذلك ؟

تيليماكوس : لقد كان هو أثينا . أتريدين إثباتاً آخر ؟

يوريكليا : لا .

تيليماكوس : سأتبع عقبَي قبطاني المجنحين .

«يخرج . تعود بنلوبي ومعها ميلانتو التي تهمس في أذن بنلوبي» .

بنلوبي : من طلب إليك أن تظلي قريبة مني بهذا القدر يا ميلانتو ؟

يوريكليا : لأن ميلانتو لديها مطامحها .

ميلانتو : مطامح ؟

يوريكليا : ثمة أمور لا تعرفينها يا سيدتي .

بنلوبي : تستطيعين أن تاخذي أحزاني مع عرشي يا ميلانتو .

ميلانتو : أنا لا أريد عرشك . وهذه اليوريكليا تكذب .

بنلوبي : إسمعي يا بنت . هاك وسائل لإطفاء نارك .

يوريكليا : ألم تتباهي أمامي في المطبخ ؟

ميلانتو : كذابة .

يوريكليا : وذلك الأمير الذي سيتزوجك ؟

ميلانتو : أكاذيب!

بنلوبي : لا تصرخي!

يوريكليا : سيدتي...
بنلوبي : أغادر مع ذلك الغريب ؟ هل جننت ؟
ميلانتو : كان هنا قبطان شاب متألق سبق له أن حارب في طروادة .
بنلوبي : إبقي في المطبخ .
ميلانتو : ليس لفترة طويلة . أرجو عفوك .
«تخرج . فتمر بجانب يوريكليا . اندلاع أغنية من قبل الخاطبين» .
يوريكليا : لقد كبر يا سيدتي . ولم يعد ولداً .
بنلوبي : تلك الحرب اللعينة قد انتهت .
ألا يستطيعون أن يغنوا شيئاً آخر ؟
يوريكليا : لقد خرج ليجمع أمتعته .
بنلوبي : يجمع أمتعته ؟ سيذهب ؟ إلى اين ؟
يوريكليا : يا إلهي . كل ما نعاني منه نحن جنيناه على أنفسنا .
بنلوبي : تكلمي .
يوريكليا : حدثته إحدى السنونوات ثم اختفت .
بنلوبي : سنونوة ؟ أيتها العجوز . تريدي أن يصل كفي إلى وجهك ؟
يوريكليا : إضربيني . هيا .
بنلوبي : لم لم تخبريني أنه راحل ؟
«تعانق يوريكليا»
يوريكليا : ميلانتو تخبرك . دائماً هي الأولى .
بنلوبي : ميلانتو تساعدني على فكفكة ما أحيكه .
يوريكليا : صحيح .
بنلوبي : ضمخنا ثيابه بالكافور . وهي مطوية .
يوريكليا : طال بقاؤها في طيتها . صارت على مقاس تيليماكوس الآن .

بـنـلـوبـي : لقد ركعت قرب سريرنا المصنوع من خشب الزيتون .
صليت ، وصليت .
يـوريـكـلـيـا : ولكنه كان يعرف أنك ستصمدين .
بـنـلـوبـي : وكيف له أن يعرف ؟
يـوريـكـلـيـا : يا سيدتي . الفضائل ذات الشيم القوية هي التي تمسك بهذا البيت .
بـنـلـوبـي : إلى أن يتمزق صبري ويغرق في الفوضى .
يـوريـكـلـيـا : لأنه ما من أحد يضاهي الزوج الذي انتقيته .
بـنـلـوبـي : نعم انتقيته ، ثم فقدته . وما ذا بعد ؟ تيليماكوس ؟
«تنهار . إيومايوس يدخل» .
يـوريـكـلـيـا : ليس الآن يا إيومايوس . فهنا الآن أزمة عائلية .
إيـومـايـوس : ومنذ متى أنا مستبعد عن هذه العائلة ؟
يـوريـكـلـيـا : عد إلى المطبخ أيها العجوز .
إيـومـايـوس : لقد جلبت الطلب .
بـنـلـوبـي : إسمع يا إيومايوس . إبني الوحيد قد ترك هذا البيت .
إيـومـايـوس : وإلى أين ذهب يا سيدتي ؟
يـوريـكـلـيـا : لم لاتهتم بشؤونك ؟
إيـومـايـوس : إنه شأنها هي . خمسون خنزيراً وخمسون خنزيرة ممتازة .
يـوريـكـلـيـا : إذهب .
إيـومـايـوس : المؤونة تنفد . هذا هو الخبر .
بـنـلـوبـي : إيومايوس . أنت ترى أن السيد بأمان . ألا تظن ذلك ؟
إيـومـايـوس : بأمان ؟ «نهار سعيد» .
هذا ما خطر لي وأنا أسوق الخنازير على الطريق الأبيض .
بـنـلـوبـي : قل إنه بأمان يا إيومايوس . خاصة أن ابني قد رحل أيضاً .

إيـومـايـوس : مقادمها ترقص . سعيدة لأنها ذبحت .

«يوريكليا تقود إيومايوس إلى الخارج» .

بـنـلـوبـي : إنه مغرم بأوليس . هذا هو العبء الذي يثقل كاهله .

يـوريـكـلـيـا : لقد شاخ . لكنه يعتني بالقطيع بشكل جيد .

بـنـلـوبـي : كانا يتسابقان معاً قرب الأنهار . وهما يصطادان الخنازير البرية .

يـوريـكـلـيـا : أذناه تنتصبان كأذني الكلب عند ذكر اسم أوليس .

«يدخل أنتينوس»

أنـتـيـنـوس : أيظن ابنك أنه سيد هذا البيت ؟

بـنـلـوبـي : هو كذلك . لقد بلغ أشده .

أنـتـيـنـوس : لقد صرخ في وجوه خاطبيك .

يـوريـكـلـيـا : هذا حقه يا سيدي . فأبوه هو أوليس .

أنـتـيـنـوس : إخرسي .

«لبنلوبي» أترين كيف تتحدث خادمة في حضرتنا ؟

بـنـلـوبـي : إنها أساس هذا البيت . وقد كانت مرضعته .

أنـتـيـنـوس : طيب . ولكن ثدييها قد نضبا الآن .

«ليوريكليا» إسمعي أنت . توقفي عن الضجيج .

بـنـلـوبـي : قال لي : تزوجي إذا مت . ثم ذهب إلى حروبه .

أنـتـيـنـوس : ليقود جيشاً من الظلال . والموت عروسه .

بـنـلـوبـي : إلى أن تثبت ضياعه التام سأظل أطيع أوامره .

أنـتـيـنـوس : أور ـ ديسليوس* ضاع منذ انتهاء طروادة . ورغبته لم تعد مطاعة .

---

* يهزأ من اسم أوليس .

بـنـلـوبـي : أنت الصنوبرة الكبيرة التي تظلل هؤلاء الأمراء المتوسلين .

أنـتـيـنـوس : لقد جعلت مئة رجل يعتقدون أنهم لا يشبهون أحداً .

بـنـلـوبـي : سرعان ما ستكسب حصارك . لقد انتهت حيلي .

أنـتـيـنـوس : إذاً فهذا الجدار الذي بنيته بيننا قد تهدم ؟

بـنـلـوبـي : في وجه الجدار شقوق .

أنـتـيـنـوس : إطو هذا العنق المتكبر إذاً . هزي رأسك بالموافقة .

بـنـلـوبـي : هزة الرأس قد تكون نهائية .

أنـتـيـنـوس : دعي هزة واحدة تنهي أمري .

بـنـلـوبـي : زوجٌ ميتٌ آخر ؟

أنـتـيـوس : هزة واحدة هي كل ما أحتاج إليه .

بـنـلـوبـي : لكي تموت ؟

أنـتـيـنـوس : بسهم واحد من هاتين العينين ؟ أموت بسعادة .

«تدخل ميلانتو»

مـيـلانـتـو : لا تعاقبني يا سيدي . ولكن لدي أخباراً خطيرة .

أنـتـيـنـوس : الأفضل أن تجعليها أخباراً جيدة يا بنت .
وإلا فإنني سأجدع هذا الأنف .

مـيـلانـتـو : لقد رحل الولد .

يـوريـكـلـيـا : ميلانتو!

أنـتـيـنـوس : رحل ؟ تيليماكوس ؟

مـيـلانـتـو : أنظر إلى الميناء . لقد سرق سفينتكم يا أنتينوس .

بـنـلـوبـي : يا للفتاة المسكينة! لقد كنت آخر جوهرة تركت لثقتي .

أنـتـيـنـوس : كان هنا قبطان بحري ما . أتعرفون من هو ؟

«يمسك بيوريكليا» .

يـوريـكـلـيـا : أنا لم أر أي قبطان بحري يا سيدي . إترك لي ذراعي .

«أنتينوس يترك ذراعها» .

ميلانتو : لقد كانت تحل وتفكفك الوشاح ذاته خلال ثلاث سنوات .

أنتينوس : ها! فهمت . إدعي الآخرين . الآن . فوراً .

«ميلانتو تخرج» .

بنلوبي : إذا لمست ابني فستواجه غضب زوجي وانتقامه .

أنتينوس : زوجك ميت . وأي سيف يستطيع أن يقطّع ظلاً ؟

بنلوبي : لا .

أنتينوس : دعيه يرجع . وسيرى كيف نفد صبرك .

بنلوبي : لم يكن صبري عبودية . بل كان ثقة مطلقة .

أنتينوس : وصبري كذلك طوال ثلاث سنوات .
فلتجهزي فراش زواجنا .

بنلوبي : إسمع يا سيدي . مواثيقي ليست زينة أرتديها إلى أن تصدأ .
ونجمي أيضاً ليس كذلك .

أنتينوس : ذلك النجم الذي ظل بعيداً يا سيدتي .

«يدخل أمفينوموس وكتيسيبوس مسلحين» .

أمفينوموس : أخبرتنا الفتاة .

أنتينوس : سلحوا سفينتين سريعتين .

كتيسيبوس : ليست هناك ريح ملائمة .

أنتينوس : إذا فقدتم أثره فاختبئوا في أي صدع من صدوع الشاطئ .

أمفينوموس : صحيح .

أنتينوس : ضعوا حراساً على جروف كل جزيرة .

أمفينوموس : سيجثمون إلى أن يتحولوا إلى صقور يا أنتينوس .

أنتينوس : غريب جداً . لم يسبق له أن تصرف على هذا النحو من قبل .

أمفينوموس : وبهذه الكمائن لن يتصرف على هذا النحو بعد ذلك .

أنــتــيــنــوس : لقد كان مكتئباً إلى أن جاء هذا الزائر .

كتيسيبوس : فهذه الجزيرة لنا إذاً . لم يعد هناك أب ولا ابن .

«يخرج أمفيمونوس وكتيسيبوس» .

أنــتــيــنــوس : إذا مات فعنادك هو الذي يدفنه في الأرض .

بــنــلــوبــي : وتظن أنني سأمر فوق قبره نحو ذراعيك ؟

أنــتــيــنــوس : أفضل أن لا أقتله . إلا إذا كان هذا ما تستحقينه .

بــنــلــوبــي : سأنحني حين ينحني القوس .

أنــتــيــنــوس : أي قوس ؟

بــنــلــوبــي : الذي يسدد .

«تشير إلى قلبه» .

أنــتــيــنــوس : إنك مثل شجرة زيتون تنتظر ظلها .

بــنــلــوبــي : وأنت ستمشق عنها آخر أوراقها : الابن ، يا يوريكليا .

أنــتــيــنــوس : يظل البحر الأزرق الحار فارغاً .

فارغاً من ذلك الشراع الذي تتشوقين إليه .

بــنــلــوبــي : خطه هو وتر قوسي . وتموجاته هي قيثارتي .

«يخرج أنتينوس» .

يــوريــكــلــيــا : وأنا أيضاً فقدت زوجاً . وكان وغداً لعيناً .

بــنــلــوبــي : يوريكليا!

يــوريــكــلــيــا : ولكنني أفتقد ذلك النذل على أية حال .

بــنــلــوبــي : أملي شبيه بمصباح صغير على تلة سوداء .

يــوريــكــلــيــا : نعم . وحين يهبط الليل تصير الأمور أسوأ يا سيدتي .

بــنــلــوبــي : سريرنا أبيض وهادئ . وهو منعّم بالصمت .

يــوريــكــلــيــا : أنا أعرف كيف تظل بياضات السرير ساكنة حين يموت شخص ما .

بـنـلـوبـي : إن ظله ينزلق على جداري . أحس بوجوده .
يـوريـكـليـا : آه يا مدام .
بـنـلـوبـي : ألتفت وإذا بنظرتي تجعل ظله يطير .
«تجلسان . ظلال مجاديف متقاطعة تزيد سرعتها» .
«بيلي بلو يدخل» .
جوقة الـبحارة (المجدفين) «تنشد من بعيد» :
آبيس . دو ـ أو . ترابيس . تيبرا . بينتي . إيكس .
آبيس . دو ـ أو . ترابيس . تيبرا . بينتي . إيكس .
بـيـلـي بـلـو : «يغني»
واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة...
هكذا يعمل معول عريف الملاحين
فيما يحني البحارة المجدفون رقابهم .
وهم يتسابقون مثل سمك البوري
هاربين من شبح صقر البحر .
آبيس . دو ـ أو . ترابيس . تيبرا . بينتي . إيكس .
كذلك ستوسع الحصادات من دوائر المناجل ،
وهي تدرس موجات العشب التي تحنيها الريح ؛
كذلك الشفرات الطويلة لدى المجدفين تتسارع لتنجو بحياتها
نحو بيلوس ، مارة بساموس مخلفة وراءها صياديها
الذين يحومون عائدين مثل صقور البحر
متعبين من المطاردة .
المجاديف تلوّح منفرشة نحو بيلوس
ثم تتجمع قرب قصر نستور .
«يخرج» .

المشهد الثالث

«قصر نستور . من الداخل . تيليماكوس والقبطان منتس ينتظران» .

تيليماكوس : وصلت هنا بسرعة . أستذهب إلى تيميسا ؟

الكابتن منتس : مع الريح القادمة .

تيليماكوس : أحققت صفقة جيدة بالبرونز ؟

الكابتن منتس : البرونز ؟ آه ، البرونز . فلنقل إن الريح كانت ساكنة .

تيليماكوس : أكانت شحنتك من الحديد ؟

الكابتن منتس : وما الفارق ؟

تيليماكوس : أثينا...

الكابتن منتس : إنتظر . ماذا حدث لمطارديك ؟

تيليماكوس : تعبوا مثلما تتعب الصقور .

وقد هتفنا فرحاً حين رأيناهم يرجعون .

الكابتن منتس : كان معك عشرون مجدفاً ممتازاً .

تيليماكوس : مثل المناجل في التناغم .

الكابتن منتس : ستحوم تلك الصقور في الخلجان بانتظار عودتك .

«يدخل نستور . ومعه حاشيته» .

تيليماكوس : أهذا نستور ؟ هذا العجوز ؟

الكابتن منتس : بشعره المتموج كما كان دائماً .

نستور : فرقعت سياطاً مشربة بالملوحة فوق جياد ترغي .

الكابتن منتس : الكابتن منتس يا سيدي . والأمير هو تيليماكوس .

نستور : أبوك ، أوليس ، أثار غضب البحار .

حاشية ١ : البحر معدة ملتهمة .

نستور : الإله هو المنقذ .

تيليماكوس : لقد أنقذك .

حاشية ١ : ويا للخجل ، صورة أوليس .

حاشية ٢ : من قطيع بوزيدون ، الموج الذي بلا عنان .

نستور : ما من سوط منقوع بالملوحة يستطيع توجيه خيول البحر البيضاء .

تيليماكوس : البحر لا يُحكم . أهذا ما تعنيه ؟

نستور : أيحب الأسئلة ؟ أوليس آخر!

تيليماكوس : سيدي...

نستور : يا أوليس الشاب . لقد توصلتَ إلى ما عنيتُه .

تيليماكوس : أين أبي ؟ مع كل ظلام تتوجه سنونوة البحر نحو موطنها .

نستور : هذا تألق .

حاشية ١ : عيناك تدمعان . الوهج .

«يتطلع نستور إلى منتس» .

نستور : لا . بل مثلما حين تكشط أثينا الزبد عن قدميك .

الكابتن منتس : أنا الكابتن منتس يا سيدي .

نستور : نستور : لا . بل رسول الغيوم .

الكابتن منتس : متى كان ذلك يا سيدي ؟

نستور : في طروادة . والسنونوة تزقزق .

تيليماكوس : كان ذلك حين رأيت أبي لآخر مرة . أليس ذلك صحيحاً ؟

نسـتـور : تطلعنا إلى الأعلى مضرجين بالدم ، ونحن حاسرون .

حاشيـة ١ : حزن طروادة كله محمول في طيران سنونوة .

نسـتـور : عشر سنوات . وقلبي مطعون بزقزقة عصفور .

الكابتن منتس : كانت الحدآت تزعق ، وكذلك كانت الغربان تنعب
والسماء شكوى سوداء واحدة .

نسـتـور : كان صوتها قريباً مثل صوتك .

الكابتن منتس : أهذا مهم ؟

نسـتـور : نعم . أثينا هي التي كانت تسكن ذلك العصفور .

تيليماكوس : في ميناني الصغير تموّج أغنيات قيثارة المياه...

الكابتن منتس : ... بحزن ثقيل .

تيليماكوس : ومرساة .

الكابتن منتس : ملوك طروادة عادوا إلى بيوتهم .

تيليماكوس : أقدامهم يغسلها العبيد .
وهناك الخمر والضحك .

الكابتن منتس : أمه تمسّد الأغطية البيضاء ،
ثم تركع قربها من أجله .

نسـتـور : لقد انهرتُ مثل جواد في الموج . وأنا مترع بالإعياء .

الكابتن منتس : هكذا الملوك المتعبون جميعهم .

نسـتـور : وتنهدات الفراش .

تيليماكوس : ليس أبي .

حاشيـة ١ : ربما كنت قد فقدت أباك . ولكن أباك فقد ابناً .

نسـتـور : آه . أين هو ؟ رفيقي في سفينتي ؟ سفينته! قلبتها
الأعاصير .

حـاشـيـة ١ : ستنقلب إلى الأعلى .

حـاشـيـة ٢ : وتظل عالية .

نـسـتـور : أسطولنا ذاب في المطر .

تيليماكوس : سيدي...

نـسـتـور : البحر واسع جداً . تقضي الطيور سنة كاملة حتى تجتازه .

تيليماكوس : يؤسفني يا نستور أن أسبب لك هذا الألم كله .

نـسـتـور : عامت سفينة أوليس فوق أمواج سوداء .

تيليماكوس : أما زال يذكر كل تفصيل زخرفي ؟

حـاشـيـة ١ : سرعان ما سيغيم ذهنه . وعندها لن يتذكر .

نـسـتـور : راقبت فضة الحلزون في شراعه المتلاشي .

حـاشـيـة ١ : كان يحتقر البحر ، وهذا منتهى قلة الاحترام .

نـسـتـور : كان والدك ينزل كل نذير إلى مرتبة العقل .

حـاشـيـة ٢ : لقد تحدى البحر ، حين لاقوة تستطيع أن تنصب خيامه .

نـسـتـور : بصق الرذاذ على أغاممنون وهو ملك البشر .

حـاشـيـة ٢ : تياران فضيان شعّبا ذلك البحر . فاتجه يساراً .

حـاشـيـة ١ : وأبوك اتجه يميناً .

حـاشـيـة ٢ : ومن الواضح أن اليمين كان خطأ .

نـسـتـور : ارتعشت فوق حافة العالم بعيداً عن الذين كان يحبهم .

حـاشـيـة ١ : لقد تعب الآن . ما كان يجب أن يتحدث بهذا القدر .

نـسـتـور : عبر البحر الذي لا عوارض فيه ، حيث أسس السماء .

حـاشـيـة ١ : حيث جدار البحر قام بقياس خط غوصه .

نـسـتـور : وعبر الأعمدة الملتوية للمطر المنهمر .

كان خط زبد سفينته البراق يتلامع .

الكابتن منتس : وما يزال أصدقاؤه القدامى كلهم يصلّون من أجل عودته .

نسطور : زحفت السفينة صاعدة مثل ذبابة على جدار البحر .

تيليماكوس : وبعد ذلك ؟

حاشية ٢ : وبعدها أفترض أنها سقطت عن الحافة .

تيليماكوس : واختفى نهائياً ؟

حاشية : أو جزئياً . كما هو واضح .

نسطور : عبر أعمدة هذا العالم بوابة المعرفة الإنسانية .

حاشية ٢ : هو ليس الموج . لقد تعب من كلامه ذاته .

نسطور : أي خجل من أوليس أحس به إذ أنا في بيتي .

تيليماكوس : سيسامحك .

حاشية ١ : عقله الآن سارية بحر . تعال .

تيليماكوس : «هامساً لمنتس»

وما الذي تعلمته من هذا الفيلسوف ذي الشعر الزبدي ؟

الكابتن منتس : وما الذي يتعلمه الشباب ؟ صبراً .

تيليماكوس : لم يقل لي شيئاً .

الكابتن منتس : لقد سمعت ما يحتاج الشباب لسماعه :

وهو أن العجائز يقاسون .

تيليماكوس : لا تختف مرة أخرى يا قبطان . أين تذهب ؟

«القبطان يخرج» .

نسطور : أعطوه عربة . أفضل واحدة .

تيليماكوس : بوركت يا نسطور .

حاشية ٢ : أين صديقك ؟

نسطور : والبركة على بيتك .

حاشية ١ : إجلس قرب نافذتك الزرقاء العتيقة وارقب الأمواج وهي تصدأ .

نــســتــور : إجمح بجوادك إلى أسبارطة واسأل مينيلاوس .
« يقاد خارجاً . تيليماكوس يركب العربة .ممثلان يتظاهران
إيمائياً أنها حصانان . يخرجون » .
« يدخل بيلي بلو » .
بـيـلـي بـلـو : « يغني » على حصى الطريق وعبر لاسيدايمون الوعرة
راح يحث العربة كما لو أنه نستور .
ثم شب الحصانان ، عند رؤية نذير آخر .
عند رؤية نذير آخر شب الحصانان .
كادا أن يسقطا الولد الذي رأى نذير أثينا
كما يندفع نسر ويقتنص أرنباً مذعوراً .
ثم اندفع الحصانان يسابقان ظليهما من جديد .
وأشعلت الأكواخ قناديلها على التلال ،
فأظلم الطريق .
وسقطت الشمس مثل برج على سهل طروادة الأسود .
وتراجفت شموع النجوم ،
لكنها لم تنطفئ في الريح .
هايا إذاً . صرخ . هايا . مستحثاً الحصانين المزبدين .
وكان ضوء النجوم يلتمع على خواصرهما المتعرقة
ورأساهما يهتزان مثل دلفينين ،
إلى أن رأى المشاعل في قصر مينيلاوس ،
وكان ملوك طروادة كلهم في أسرّتهم .
« يخرج » .

المشهد الرابع

« إسبارطة . قصر مينيلاوس . تيليماكوس يركع . مينيلاوس يدخل » .

تيليماكوس : أنقل إليك تحيات نستور . لقد أعطاني سوطه . (سائق عربته) .

مينيلاوس : ها . نستور . كيف هو نستور ؟ المقاتل العظيم على العربة .

تيليماكوس : متعب .

مينيلاوس : نستور . لحية مزبدة قرب سفينة سوداء .

تيليماكوس : إنه يقيم الحداد على ابنه .

مينيلاوس : أعرف . لم يواجه أحد المصائر التي واجهناها . عند عودتنا إلى هنا .

تيليماكوس : ولكن أليس البيت هبة الإله يا مينيلاوس العظيم ؟

مينيلاوس : لا . بل امتحان الإله . لقد كسبنا البيت مثلما كسبنا أي شيء آخر .

تيليماكوس : ولكن على الأقل أنت قد عدت ،
وأنت الآن مع زوجتك . وفي قصر عظيم .

مينيلاوس : كنوز السماء كلها لا تستطيع أن تعوضني خسارتي .

تيليماكوس : أية خسارة ؟

مـيـنـيـلاوس : لقد قتلوا أخي أغاممنون .

تـيليمـاكـوس : من فعلها يا سيدي ؟

مـيـنـيـلاوس : عاشق داهية وزوجة خائنة .

تـيليمـاكـوس : ولماذا ؟

مـيـنـيـلاوس : أقفز مبللاً بالعرق فأسمعه يئن .

تـيليمـاكـوس : يا إلهي .

مـيـنـيـلاوس : تتهرأ شبكة شرايينه الحمراء تحت السكين .

تـيليمـاكـوس : رهيب .

مـيـنـيـلاوس : أهذا مصير كاف ؟ بالنسبة لمن يغارون ؟

تـيليمـاكـوس : ما من أحد يجب أن يحسدك على ثروتك يا مينيلاوس المسكين .

مـيـنـيـلاوس : إن روحاً عديمة الشفقة تتعقب بيت أتريوس .

تـيليمـاكـوس : ولكن الحب قد يخيفها . وضوء الشمس يفيض على بيتك .

مـيـنـيـلاوس : نعم . إن قضية طروادة وغيومها ستبحر عبر هذا الباب .

« صمت . هيلين تدخل »

هـيـلـيـن : أنا هيلين . أو اعتدت أن أكون هيلين . أهلاً بك .

« صمت . تيليماكوس يتابع بنظره »

تـيليمـاكـوس : أفهم كل شيء . أنا آسف . أنت تؤكدين أعجوبة .

هـيـلـيـن : أووه...

مـيـنـيـلاوس : يجب أن تحيط بها الرماح وليس الخدم . ولكنها عادت .

هـيـلـيـن : لم يكن يخطر لي أن لديه ولداً كبيراً .

مـيـنـيـلاوس : لقد قضى أوليس عشر سنين ولم يرجع إلى بيته .

هـيـلـيـن : إنه يرتحل على الأقل .

مـيـنـيـلاوس : لقد ملّتْ . اشتاقت إلى طروادة .

هـيـلـيـن : أنا لا أشتاق إلى طروادة .

مـيـنـيـلاوس : الشوق هو المركز . السبب .

هـيـلـيـن : ألا أبدو لك سعيدة ؟

مـيـنـيـلاوس : وتظنين أنه سيقول : لا ؟

هـيـلـيـن : أشتاق إلى طروادة! هذه إشارة غبية يا مينيلاوس .

مـيـنـيـلاوس : آسف يا عزيزتي .

هـيـلـيـن : يا للرجال . كلهم يلقون باللوم علي من أجل كل شيء .

مـيـنـيـلاوس : لا أظن أنه جاء إلى هنا لكي يتفرج علينا ونحن نتخاصم .

هـيـلـيـن : لم يكن الأمر كله بسببي ، بل هو نوع من ضريبة البحر .

مـيـنـيـلاوس : ها ؟ ذاكرتك تخبو مثلما يزول صباغ شعرك يا حبيبتي .

هـيـلـيـن : هل قلت أنا إنني اشتقت إلى طروادة ؟ ويلي منك ومن تهجماتك الرخيصة .

«تخرج» .

مـيـنـيـلاوس : نومها قلق جداً . إنها تتذكر كل شيء .

تـيـلـيـمـاكـوس : هناك عشبة مصرية تستخدمها أمي .

مـيـنـيـلاوس : إنها تهب قافزة . (إذ ترى) المشاعل في الماء . والجدار الأسود .

تـيـلـيـمـاكـوس : لقد تسببت بالكثير من الآلام .

مـيـنـيـلاوس : بما في ذلك آلامكم على أوليس .

تـيـلـيـمـاكـوس : أتظن أنه ميت ؟

مـيـنـيـلاوس : هو أكثر ذكاء وطمعاً من أن يفعلها .

تـيـلـيـمـاكـوس : ولكن هل حدث أن أخذ أعطية لم يكن قد كسبها ؟

مـيـنـلاوس : «يضحك» سالب المدن هذا ؟ إنه يقول : «يجب أن يعيش الملوك» .

تيليماكوس : ألم يكسب جيداً من الحرب ؟

مينيلاوس : هذا هو السبب الذي احترقت طروادة من أجله بالنسبة له .

تيليماكوس : أأكيد أن ليس هذا كل شيء ؟

مينيلاوس : كان الأمر يعني ما هو أكثر من الحرب .

تيليماكوس : النهب الشامل ؟

مينيلاوس : مثل الترس . لقد أخذ حصته .

تيليماكوس : يبدو كأنه بائع بسط ، وليس محارباً .

مينيلاوس : تأكد من أنه سيعود محملاً بالغنائم .

تيليماكوس : وماذا غير ذلك ؟

مينيلاوس : كان يحب أن يأكل . شهية مذهلة .

« يضحك »

تيليماكوس : وماذا كان يحب ؟

مينيلاوس : يحب ؟ أي شيء ؟ كان يأكل كالمعزى .

تيليماكوس : هذا يؤثر في .

مينيلاوس : كان شعاره : « كل أولاً . وبعدها حارب » .

تيليماكوس : وما الذي كنت تستطيع أن تفعله ؟

مينيلاوس : كنا نأكل . حتى أجاكس العظيم كان يأكل .

« تدخل هيلين وهي تدفع بعربة ذهبية على عجلات فضية . تجلس على مبعدة وتحيك . تيليماكوس ينهض » .

مينيلاوس : ستجلس هناك بهدوء . وما من شيء سيشتت انتباهها .

« صمت » .

لقد حطمت قلب الأفق كما حطمت كل شيء غيره .

« صمت » .

هي الآن رخام هادئ . مع ضوء على تمثالها .

« صمت » .

نسيم البحر وحده يحرك ذؤابات شعرها .

« صمت » .

مزهرية تالفة ، غلفت الآن بالشمع ، وقد أنقدها من جمعها .

« صمت » .

إنها التي تتنهد أحياناً من خواء الحرب .

« صمت » .

ولكنها عادت زوجة صالحة .

« يلتفت إلى تيليماكوس » .

أعرف أنك تقول لنفسك : أكانت جديرة بصرعة طروادة كلها ؟

« صمت » .

لإعادتها إلى بيتها وبلدها ؟ هذه الضجة والفوضى كلها ؟ ماذا يكون جوابك ؟

تيليماكوس : كانت جديرة .

مينيلاوس : لدي افتراض حول أبيك .

هيلين : الصوف من فضلك .

« مينيلاوس يلتقط كبة الصوف ويناولها إلى هيلين » .

تيليماكوس : ما الذي يساعد على دوام الحب عشرين عاماً ؟

هيلين : الأختام . والضباب . ورجل عجوز ، يتغير .

مينيلاوس : إبتسم لأنك لم تكن هناك .

هيلين : أره المزهرية التي رُسم عليها الآن .

مينيلاوس : أنظر إلى هذه . سيذوب .

«يدخل خادم ومعه مزهرية . ويخرج» .

تيليماكوس : شراعك قد سبقني كثيراً يا سيدي .

هـيـلـيـن : دائماً .

تيليماكوس : أرى ضباباً . وأرى عجوزاً يزحف . ما معنى هذا ؟

هـيـلـيـن : سامحني على الألم الذي أسببه . إنها صورة أوليس .

تيليماكوس : أسامحك .

«تخرج هيلين» .

مينيلاوس : أنظر . البحر الغامق كالخمرة . الزبرجد المعرق .

تيليماكوس : تابع .

مينيلاوس : أتستطيع أن تربط السديم ؟ أن تغترف الضباب براحتك ؟

تيليماكوس : وهذا الشبح القافز من البحر بأشكال مختلفة ؟

مينيلاوس : لقد ركض كالسرطعان هارباً من الموج ، ليختبئ في الرمل .

تيليماكوس : ومن هو ؟

مينيلاوس : بروتيوس . إنه رشيق . لقد نجا .

تيليماكوس : هذه حكاية مربيتي العجوز أيها العظيم مينيلاوس .

مينيلاوس : فاعتبر نفسك مديناً لها إلى الأبد إذاً .

تيليماكوس : لماذا ؟

مينيلاوس : أبواب المخيلة لا تنغلق أبداً .

تيليماكوس : حتى عند الرجال الكبار ؟

مينيلاوس : ومن هم الرجال ؟ أولاد يتشككون .

تيليماكوس : تابع .

مينيلاوس : الفجر . فم* النيل يشهق . فقمات تنخر .

---

* الفم والمصب هما الكلمة ذاتها . ولكنه يلعب على اللفظة من خلال كلمة «يشهق» .

«الفقمات تنخر . ضباب» .

تيليماكوس : «يشير» سفينتك ؟

مينيلاوس : مبعدة شهوراً عن مجراها بفعل ريح وحشية .

تيليماكوس : فهذا يزحف وسط الضباب إذاً ؟

مينيلاوس : قاذف الشبكة ، إنه يصطاد أرواحاً .

تيليماكوس : أتظن أنه اصطاد روح أبي ؟

مينيلاوس : لقد عبرت في ذهني .

تيليماكوس : الرجال ليسوا سراطعين يا مينيلاوس .

مينيلاوس : إننا نختبئ في جلود الفقمات .

تيليماكوس : أبي حي . حي . لقد تاه فقط . وهذا كل شيء .

ميليناوس : ذلك العجوز الداهية . كنت أصارعه بالأسئلة .

تيليماكوس : مثل ماذا ؟

ميليناوس : تحت جلود الفقمات المنتنة ظللنا هادئين .

تيليماكوس : فيم شكل الضباب هذا ؟ أفعى ، أسد غائم ؟

ميليناوس : هسس . إنه يزحف . سرطعان . باتجاه الرمل . يتحسس الزبد .

تيليماكوس : آه . إني أرى . داخل شبكة الرذاذ . أية أسئلة ؟

مينيلاوس : ما تحثني عليه الصلوات . سؤال الروح . أي طريق يوصل إلى البيت ؟

«يظهر بروتيوس . ويظهر أوليس . إنه يتصارع مع بروتيوس في الضباب . بروتيوس يشير . أوليس يتبع تأشيرته . مينيلاوس يخرج . تيليماكوس يجلس وحيداً . تنطفئ المشاعل . تبدأ المزهرية بالدوران ، مع صوت الماء القوي . ينهض تيليماكوس . ويمشي نحو شاطئ الصباح» .

تيليماكوس : رددي معي بأصدائك أيتها الجزر . أوليس أوليسيييي* .

الصدى : سي سي سي (بحر)... أوليسي .

تيليماكوس : أريد أن أراك يا أبي .

الصدى : أبي... أبي...

تيليماكوس : أنقل ندائي إلى كهوفك .

الصدى : كهوووف!

تيليماكوس : أعبر فوليسوس ، وكيوس ، وديلوس ، وإيثاكا...

الصدى : إحذر!

« يجلس تيليماكوس على الرمل » .

تيليماكوس : ساعده على مصارعة الأمواج ذات اللحى العشبية...

« موجة ، صفير . يخرج تيليماكوس » .

* « سي » التي ينتهي بها نداؤه تأخذ معنى البحر حيناً ومعنى أرى حيناً آخر .

المشهد الخامس

«سفينة أوليس وهي تحمَّل . البحارة ، ستراتيس وكوستا وستافروس وتاسو ، يغنون» .

البحارة : حملوا هذه يا أولاد . وأمسكوا بعناية هذه الهبات
التي جلبها القبطان من طروادة إلى إيثاكا .
رزم من المدن التي سلبها في طريق عودته .
وهدايا من الملك ، أيولوس ، فلعله سيتخلى عن بعضها .

ستافروس : ثلج في جبالي ، وآذار يحلم بتشرين .

كوستا : يا للبؤس هناك . الجبال التي تتبول المطر .

تاسو : من يدفئ الزوجة يا ستافروس ؟ أتحشوه لها ؟
«ستافروس يسحب سكيناً . شجار . ستراتيس يتدخل» .

ستافروس : زوجتي امرأة صالحة .
ستراتيس : أبق هذه السكين لقبطاننا .
«يأخذ السكين . التحميل يستمر» .

ستافروس : أستغرب أية قصص انتقاها قبطاننا للملك ؟

كوستا : تكفي هذه الهدايا أن تنزل بالسفينة عن خط مائها .

تاسو : لقد أنجز جيداً في الحرب . أليس كذلك ؟ النهب والسلب .

كوستا : لهذا هو «سالب المدن» . أنتم لن تتعلموا أبداً .

تــــاســــو : منحة من طروادة! أنظر إلى هذه يا ستافروس . وسّع عينيك .

ستــراتيــس : وما هو مُرَتَّبُك ؟ الملح . وستعيش من ذلك إلى الأبد .

« رزمة ضخمة تنقل إلى السفينة » .

كــوســتــا : هذه هي الرزمة التي أعطاها الملك للقبطان أوليس .

تــــاســــو : أيولوس يحكم هذه الجزيرة . ولكنه لا يحكم طقسها .

ستــراتيــس : إنه يريد أن يعود . ولكن هل يتوقف لكي ينهب المدن ؟

كــوســتــا : تاركاً شواطئها تدخن غضباً . العظيم!

تــــاســــو : وهو مثلك أيها الراعي . لديه ثقة بزوجته .

كــوســتــا : إنه يتأكد من أن الكبر في السن لا يغرق في الأسف .

« ينقلون الرزمة » .

* * *

« أعلى سطح السفينة . يعلق أوليس الترس على الصارية . إلبينور على الدفة » .

أولــــيــــس : وجِّه . نسيت يا إلبينور . كم عمرك ؟

إلــبــيــنــور : بعد ربع قمر آخر يا سيدي سأكون في الثانية والعشرين .

أولــــيــــس : الثانية والعشرون . بعمر ابني . أو بالأحرى نصف ابن .

إلــبــيــنــور : ولماذا نصف ابن يا سيدي ؟

أولــــيــــس : نصفه الآخر يمكن أن يكون أنت .

إلــبــيــنــور : صرير هذه الصارية مثل نعيب غراب يعبر حقلاً .

أولــــيــــس : برج يتشقق . طروادة . طروادة! ما قيمة ذلك كله ؟

إلــبــيــنــور : ليس غراباً . بل هو أشبه بخروف ضل عن حقله .

أولــــيــــس : أقايض هذا التموج كله بشبر من اليابسة .

إلــبــيــنــور : سرعان ما سترى ضوء الشمس ترطبه مجاديف العودة .

أولــــيــــس : حتى الغيلان في القاع تسعى إلى أسرّتها .

إلـــبـيــــنــور : إنك لا تقل عنها حظاً يا سيدي . لقد اقتربت كثيراً من بيتك .

أولــــيــــــس : الجزر ترهقني الآن . والزبد يرقش هذا الرأس .

إلـــبـيــــنــور : فراش أبيض ونظيف هو كل ما يطلبه الرجل من اليابسة .

«أوليس ينقر على الصارية» .

أولــــيــــــس : أتذكر شجرة الزيتون التي صنع منها سريري .

إلـــبـيــــنــور : بلى يا سيدي .

أولــــيــــــس : وتلك النجوم تتطاير . والجمر من موقدي .

إلـــبـيــــنــور : قبطان ؟

أولــــيــــــس : لم تكن أية ليلة طويلة .

وما من فجر مرحب به أكثر من ذلك .

إلـــبـيــــنــور : لا .

* * *

«تحت على السطح» .

ستــراتـيــس : ذات مرة . كان ذلك ونحن نبتعد عن سميرنا ذبحت قبطاناً .

تـــــاســــــو : مثل خروف .

ستــراتـيــس : فعلاً . ملّلني . كان يظل يثغو طالباً بيته .

تـــــاســــــو : كان ذلك قطيعه . أليس كذلك ؟

ستــراتـيــس : البيت خطر آخر .

كـــوســــتـــا : وهكذا تلاحمت مع ذابحي الخرفان أيها الراعي . أهلاً .

«ينزل أوليس . من الأعلى ومعه مصباح . يطوف بالبحارة . سوط رئيس البحارة يفرقع» .

أولــــيــــــس : إيثاكا عند حافة الفجر . وعند ظهور النجوم سأكون تحت سقفي .

ستراتيس : كم مر من فصول منذ أن غادرت بيتك يا سيدي ؟

أوليس : عشرون . رائحة نسيم البحر أكثر وداً .

ستراتيس : يمكن أن يقسو .

أوليس : حين يأتي الشروق سأعيد للفجر مصباحه .

كوستا : «البيت» . مر نصف عمري ولم أره .

تاسو : ابنتاي اندفعتا مثل شجيرتين طريتين .

ستراتيس : البيت ، بالنسبة لي ، موت يتنفس . العودة إلى الزوجة .
«ضحك» .

أوليس : هذه المجاديف تضاعف صورة ما نحب .

تاسو : البيت ، بالنسبة لي ، حقول رمادية مع نيران الفلاح الحارث .

كوستا : أحياناً هو رائحة . إن رائحة القرنفل تخترقني .

تاسو : ملاك ملطخ بالسخام يشير من برجه .

ستراتيس : أما بالنسبة لي يا قبطان فهو حيد بحري للموج الضارب .

كوستا : الأشياء تبقى بعدنا . علب البهارات على رف المطبخ .

ستراتيس : لا إنسان آمن يا قبطان قبل أن يدخل قبره .

أوليس : سمّني إذاً لا إنسان . ولكن صداقتكم هي ثروتي .
«يعود صاعداً إلى الأعلى» .

ستراتيس : ما الذي حصلت عليه من البحر ؟ كمشة من الفضة .

كوستا : أو قطيع مائي من الأسماك الطائرة وهي تتبعثر كالنجوم .

ستراتيس : هذا هو كل شيء . وستعيش من هذا إلى الأبد .

تاسو : تلك الرزمة التي أعطاه إياها أيولوس . مهما كانت .

ستراتيس : سيظل فوق قليلاً . أين الرزمة ؟

كوستا : وضعها تحت سريره .

ستافروس : هل سيُقتل ؟
ستراتيس : لقد حصل على ثروته يا ستافروس . ولا شراكة في الغنيمة .
تاسو : لقد حصّل الكثير من الحرب . أقداح ذهبية وعملات وذلك الترس .
ستراتيس : سأنزل . إنقروا ثلاث نقرات إذا جاء .

* * *

«في الأعلى»

أوليس : آه! يا للملوك الذي عرفتهم . كانوا يرون أنفسهم مثل النجوم الثابتة .
إلبينور : أي ملوك يا سيدي ؟
أوليس : أصدقائي البعيدون في طروادة .
إلبينور : وغير شهرتهم ؟
أوليس : كانوا نيازك ، في سقوطهم الطويل عن عظمتهم .
إلبينور : لماذا ؟
أوليس : البحر بسّطهم يا إلبينور . حوّلهم إلى زبد .
«يتبول من جانب» .
إلبينور : كيف تستطيع المحافظة على توازنك دون أن تسقط ؟
أوليس : قدمان مثبتتان... أنا ثابت أيها العريف البحري .
وتلك النجوم هي التي ليست ثابتة .
إلبينور : إنها تتأرجح ككفات الموازين .
أتستطيع أن تفعل ذلك حين يكون هناك نوء ؟
أوليس : النجوم . أنظر . البول المتلامع للقبة الزرقاء* .

---

* يقصد السماء .

إلــبـيـــنــور : سيطلع النهار قريباً . ونسيم الفجر يهدئ البال .
أولـــيـــس : هذه الأمواج أوراق شجر في حديقتي...
إلــبـيـــنــور : يبدو لي كأنه مكان جميل .
أولـــيـــس : وعلى المرج الذي تنحني فوقه سنديانة محدودبة .
إلــبـيـــنــور : أتمانع في الجلوس يا قبطان ؟ سأفسح لك .
أولـــيـــس : مقعدي الحجري تقنطر عليه رغوة من أزهار بيضاء .

«برق» .

إلــبـيـــنــور : أنظر هناك يا سيدي ،
في ذلك الخرق الذي أحدثه الضوء في الأفق .
أولـــيـــس : إنها ليست أكثر من اللمعات البعيدة لعاصفة صيفية .
إلــبـيـــنــور : أنتظر الآن يا سيدي .
وهل هي حيث يبعثر البرق الخارق حديقة البحر ؟
أولـــيـــس : ماذا يا ولد ؟
إلــبـيـــنــور : أنت انحنيت هناك لترتب أسرّة وردية من الزبد .
أولـــيـــس : متى تنتهي نوبتك في الحراسة ؟
إلــبـيـــنــور : مع شروق الشمس ، يا سيدي .
أولـــيـــس : سأصدقك إذا...
إلــبـيـــنــور : إذا ماذا يا سيدي ؟
أولـــيـــس : إذا قبلت أن تخالط الخمرة أنفاسك .
إلــبـيـــنــور : ولكن أنا والبحارة أخذنا جرة من قبل يا سيدي .
أولـــيـــس : وجّه الدفة بعناية . فثمة غيمة قد تقسو مثل جرف .

* * *

«عودة إلى الأسفل»

كــوســتـــا : فك العقدة .

ستراتيس : لا شيء هنا إلا الريح .

تاسو : كذاب .

ستافروس : أظلمت بشكل مفاجئ . لماذا ؟

تاسو : إنهض وانظر مرة أخرى أيها الأبله . أنظر فوق ، تحت ، وراء .

كوستا : ما هذه الضجة ؟ كصوت طواحين الهواء وهي تمخض السماء .

أوليس : لقد فتحوا الرزمة . الآن وقد أصبحت البحار كالجبال .

إلبينور : أنظر . قطيع غنم أبيض يفلت من شوك العاصفة .

أوليس : شيء ما قد آذى البحر . إنه يكسر مجاديفنا .

«أصوات تكسر مجاديف» .

كوستا : إنها تقرقع متكسرة مثل عظمة بين أنياب كلب .

أوليس : «لإلبينور» إنتبه لهذه الدفة .

إلبينور : ها هو الشروق . إيثاكا! غيمة قرمزية وجبل .

«الشروق» .

أوليس : سيصعب الأمر مع هذه الدفة .

ستراتيس : آه! الأزرق يزداد اخضراراً حين تبدأ الضحالة .

إلبينور : إيثاكا ، قبطان ، دعنا نركع على السطح! أنت قد عدت!

أوليس : الدفة! عليك اللعنة . يا ولد! النوارس . أول الصيادين .

«تميل السفينة بحدة» .

كوستا : الجزيرة تميل ومعها هذه المدينة الجبلية البيضاء .

إلبينور : النوارس تلقي بقبعاتها في الجو يا قبطان .

أوليس : أمسك بالدفة اللعينة يا ولد . وإلا فسنغرق كلنا!

ستـراتـيـس : أين هي أيها الغر ؟

أولـــيــــس : البيت! الوطن! الحور! جبل نيريتون!

« ينجرف إلبينور عن السطح » .

كـــوســـتــــا : قائد الدفة فوق ، يا قبطان .

أولـــيــــس : أين ترس آخيل ؟ راح ؟

بـــحــــار ١ : يا قبطان . كان ذلك مدير الدفة .

اولـــيــــس : الريح تبعدنا عن الشاطئ . تهنا إلى الأبد .

كـــوســـتــــا : نحن القطيع الضال يا ستافروس .

أولـــيــــس : إلبينور! تيليماكوس!

«تغرق السفينة . الأيدي كلها ترتفع فوق السطح » .

المشهد السادس

«صرخات . نوارس ، أوبنات تلعبن . كرة تنقذف على الرمل . فتاة ، أنيموني ، تركض وراءها إلى ان تغيب عن النظر . صرخة ذعر . أنيموني تركض عائدة لتنضم إلى ناوسيكا وفتاة أخرى ، كلوي» .

أنيموني : رأيته . رأيته . عجوز البحر .

ناوسيكا : تكلمي بأدب يا بنت . وعودي ركضاً واجلبي لي طابتي .

أنيموني : وجهه إلى الأسفل وهو يعانق الموج . أرجوك . أرجوك . صدقيني .

ناوسيكا : لابد أنك رأيت جذع شجرة ذا أذرع . لا تهستري .

أنيموني : أنا لا أهذي ولا أهستر .

كلوي : أراهن أنه عار .

ناوسيكا : لماذا تفسدن ألعابنا بالسخافات دائماً ؟

أنيموني : أرجو عفوك يا أميرتي .

كلوي : ليس في رأسها سوى الرجال .

ناوسيكا : هذا كل ما رأيتِه يا بنت . طيف خطاياك السرية .

أنيموني : كان ممدداً ووجهه إلى الأسفل مثل نجم البحر . وكان عارياً .

كـــلـــوي : ربما كان نجم البحر هو عجوز البحر .

نـاوسـيـكـا : أو ربما أخطبوط يلعب الكرة بأيديه الثماني .

أنـيـمـونـي : لماذا لا تذهبين وتجلبين الكرة إذا كنت لا تصدقينني ؟

كـــلـــوي : لأنها ليست هي التي قذفتها .

أنـيـمـونـي : نجم بحر! ودون سروال!

« يظهر أوليس ، منهكاً وعارياً وهو يحمل الكرة . البنتان تزعقان وتركضان . أوليس يلقي بالكرة وينهار » .

نـاوسـيـكـا : إنهض . أرجوك يا سيدي . لا تستلق في مملكتي وأنت عار .

أولـــيـــس : لقد ضربني البحر وهزمني . وأنا لا أرى بوضوح .

نـاوسـيـكـا : يجب أن ترتدي شيئاً ما . هذا مستهجن جداً .

أولـــيـــس : صرخات بيضاء نهضت من وراء هذه الصخور . وموجة دحرجتني إلى هنا .

نـاوسـيـكـا : أوه! هل جرّحتك الصخور ؟ ما الذي حدث لهذا الذراع ؟

أولـــيـــس : لقد طوحت بي هذه الأمواج المتكسرة المدخنة مثل خشبة طافية .

نـاوسـيـكـا : ذلك هو الجانب الأبيض الهائج من الجزيرة . هنا أكثر هدوءاً .

أولـــيـــس : استيقظت لأسمع أصوات النوارس . كانت صرخات صبايا .

نـاوسـيـكـا : هبت عاصفة هوجاء ليلة أمس . كان السنديان لدينا يئن .

أولـــيـــس : عبرتها ونجوت . وكنت أتأرجح على غصن مثل خفاش .

نـاوسـيـكـا : يظل ضوء الصباح يأتي بعد الأعاصير .

أولـــيـــس : فوق الأمواج ، أعلاها أسفلها ، وأنا أسمع العاصفة تدوي .

نـاوسـيـكـا : لابد أن ذلك كان قاسياً .

أولـــيـــس : أيتها الحورية . يا من عذوبتها كمال محض .

نـاوسـيـكـا : محض ؟ لن تكسب شيئاً من مخاطبتي بهذه الطريقة .

أولـــيـــس : أنا دائخ . وعيناي المملحتان ملذوعتان بالشمس .

نـاوسـيـكـا : هكذا تبدأ المكاشفات والاستهلالات . بالشعر .

أولـــيـــس : أي شعر ؟

نـاوسـيـكـا : أنت تعرف . «أيتها الحورية» . وكل ما هو من هذا القبيل .

أولـــيـــس : ظننت أنني غرقت وحلّقت مع النوارس إلى السماء .

نـاوسـيـكـا : أترى ؟ بعد قليل ستنعب حول الإمساك بركبتيّ اللامعتين .

أولـــيـــس : أسأفعل ذلك ؟

نـاوسـيـكـا : لم لا تقوله فوراً ؟

«صمت»

أو حتى تفكر فيه ؟

أولـــيـــس : لا .

نـاوسـيـكـا : أو تحدثْ عن عينيّ ، مثل ضحالة البحر المخضرة .

أولـــيـــس : نعم . هما كذلك . أنت على حق .

نـاوسـيـكـا : أو عن الصيوانين القرمزيين لأذنيّ .

أولـــيـــس : أيتها الحورية . لن أقول أكثر مما يسمح به عريي .

نـاوسـيـكـا : لماذا ؟

أولـــيـــس : لأن بيننا خليجاً كبيراً يفصلنا يا فتاتي . سنوات!

نـاوسـيـكـا : لا تنبح في وجهي مثل فقمة . هل تعرف ما أنت ؟

أولـــيـــس : لا .

نـاوسـيـكـا : فقمة مزمجرة ذات شنب تتشمس على جرف ما .

«تقلد فقمة» .

أولـــيـــس : أوه! أأنا هكذا ؟
نـاوسـيـكـا : وتحملني مسؤولية مأساتك .
أولـــيـــس : أنت على ما يرام ، في الطريق إلى أن تكوني زوجة لشخص ما .
نـاوسـيـكـا : زوجتك ؟
أولـــيـــس : لا . أنا كبير جداً عليك . إضافة إلى أن لدي زوجة .
نـاوسـيـكـا : كبير جداً ؟ وبهذا الجسد المتماسك ؟ الكبير العجوز يكون هكذا .

«تقلص نفسها وتحني ظهرها» .

أولـــيـــس : أنت ظريفة ومسلية لرجل عجوز .
نـاوسـيـكـا : هل سنلتقي بشكل ملائم ؟
أولـــيـــس : هل ؟
نـاوسـيـكـا : أنا ناوسيكا . وأنت هبة البِحار لي .

«تقبله على خده . هتاف وضجيج» .

أولـــيـــس : ما هذه الضجة الصادرة عن حلق تلك التلال ؟
نـاوسـيـكـا : ها... الألعاب والمباريات .
أولـــيـــس : ألعاب ؟ أية ألعاب ؟
نـاوسـيـكـا : سترى . حين أوفر لك بعض الملابس .
أولـــيـــس : لقد سبق لي أن سمعت ذلك الصدى الهتاف . رماح ترفع أسماء ميتة .
نـاوسـيـكـا : أنت تبكي .
أولـــيـــس : مزيد من الملح . من أجل إلبينور . وأبطال طروادة .

«يتوقف ويستمع» .

نـاوسـيـكـا : أكنت بطلاً أيضاً ؟ لم تتوقف ؟ تحرك .
أولـــيـــس : كل موجة مدخنة متكسرة تجلب أصداء من تلك الحرب .

ناوسيكا : أية حرب ؟

أوليس : بالضبط .

ناوسيكا : وأخذتك ممن تحب ؟

أوليس : مرت حتى الآن عشرون سنة .

ناوسيكا : تعال . ستحكي عنها لأبي .

« يصعدان » .

أوليس : ومن هو أبوك ؟

ناوسيكا : إنه ملك هذا المكان .

أوليس : لقد فقدت سفينة وبحارة وترساً . لم يبق لي شيء .

ناوسيكا : سنعثر عليهم . أعدك بذلك . أنا أميرة حقيقية .

أوليس : أستطيع أن أخمن ذلك .

ناوسيكا : كذاب .

أوليس : بل أستطيع . من طريقة ضحكتك .

«أنيموني وكولي تتلصصان . تتوقفان . ثم تتقدمان . أوليس يتقدم ناوسيكا» .

ناوسيكا : خريطة العالم على ظهرك . فجلدك يتقشر .

أوليس : الشمس والملح . طوال عشر سنوات طويلة . ما أسماء صديقتيك ؟

ناوسيكا : بنات . وهذه جزيرة سكيريا ، المشهورة بقدرتها على الشفاء .

أوليس : بثلاث أرواح كريمة .

ناوسيكا : وشهيرة أيضاً بألعابها ومبارياتها .

«هتاف من بعيد . أعلى . يخرجان» .

المشهد السابع

«قصر ألسينوس . رياضيون ورجال بلاط يتمرنون . موسيقى .
أبواق . هتافات . يتقدم ألسينوس إلى منصة . طبول وأبواق .
يتقدم بيلي بلو على أنه فيميوس» .

بيلي بلو : «يغني»

فلتنطلق أقدام العدائين العارية متسابقة على الرمل .
وكواحلهم تئز نحو الغار مثل الطائر الطنان .
يمدون أذرعهم كالسنونو حين يصلون إلى النهاية
وأفخاذهم بيضاوية ملطخة لمرورها بمكسرات المرجان .
أي مجد أعظم من أن يكسب الرجال بأقدامهم
وهم يتجاوزون الظلال الودود في شمسهم الوجيزة ؟
أعظم من الشعر هو بحر* الرياضي
حيث أن مجده وجيز ، وأسرع من أية أغنية .
يتحولون إلى عصافير ، ويتمددون ليغادروا الأرض .
مَرِنون مثل القضاعات** ، وهم يزلقون من الموج .
ولكن دعهم يظلوا خضراً مثل الغار الأولمبي

* بحر الشعر .
** القضاعة : حيوان بحري/ ثعلب الماء .

في المباريات ، ألطف الحروب ، وأسعد خصامات البشر .
أشعلوا المشعل ، وابدأوا هذه المباريات ،
ثم انقشوا أسماءهم على صفائح الذهب والفضة والبرونز .

ألسينوس : دعونا أولاً نكرّم ضيفنا ، غريب السفينة الغارقة .

أوليس : شكراً يا أهل سكيريان اللطفاء . إنني مرتاح هنا .

ألسينوس : الألعاب بعد قليل . لقد تقبل اختبارنا .

« ضحك . وهتاف » .

أوليس : إنني متيبس (وصدئ) قليلاً . ومن حقكم أن تسخروا .

« حاشية ٢ يدخل الحلبة . يأخذ رمحاً ويلقي به بعيداً عن الأنظار » .

حاشية ١ : يستطيع هذا أن يصيب نسراً .
بعيداً عن النظر يارجل . بعيداً عن النظر .

حاشية ٢ : ها هنا يأتي القزم الآن . إنه أقصر من الحربة .

حاشية ١ : أراهنك على أنه يستطيع أن يصيب عين الشمس بحربته ويحول النهار إلى ليل .

حاشية ٢ : أراهنك على أنها ستسقط منهكة مثل سنونوة يتعبها الهواء .

« أوليس يلقي بحربته أبعد » .

حاشية ٣ : إضربوني وألقوني أرضاً بريشة .
ستصل هذه الحربة إلى مصر .

حاشية ٤ : أرسلوا بعثة للبحث عنها .
أسمعتم هذا الهدير ؟

حاشية ١ : لقد غنت مثل سنونوة يا رجل .

حاشية ٢ : محظوظ . لقد انزلقت .

حاشية ٤ : نعم ؟ إنزلق أنت إذ اً إلى مصر وأرجعها .

«أوليس يواجه رياضياً شاباً . يتصارعان . يسمح أوليس برميه» .

أولـيـس : توقفت لأنني تخيلت أنك ابني .

الـشـاب : هذا جيد . لم أسمع ما يشبهه من قبل .

أولـيـس : لم أستطع أن أؤذيك .

الـشـاب : جرب . إنني أمنحك موافقتي .

«أوليس يلقي به ويثبته» .

أولـيـس : أظل أراه . تيليماكوس . إلبينور .

«هتاف . ألسينوس يأمر بالصمت» .

أنتم ترون الآن رجلاً خسر كل مايملكه في دنياه .

«همهمات تعاطف» .

رجلاً يكرهه إله البحر . ولكنه نجا من كل عاصفة .

«هتافات تحية» .

مثل خنزير بري يراوغ الرماح البرقية التي تصوبها الآلهة .

«يقلد خنزيراً . ضحك» .

جواباً يعرف أن هبتكم ستساعده في العودة إلى بيته .

«صمت» .

لو أنكم بسطاء وساذجون لأخبرتكم بأشياء من هذا القبيل...

حـاشـيـة ٤ : نحن نعيش في جزر . قد نصدقها . جربنا .

أولـيـس : أنتم مجربون ومتشككون . وجولاتي...

حـاشـيـة ١ : نعم ؟

أولـيـس : لقد اعتاد الناس سماع الموج يتلولب في آذانهم .

ألـسـيـنـوس : كلما ازدادت حكاياتك غرابة ازداد استمتاعنا بها .

نـاوسـيـكـا : أبي يحب الحكايات . ويكافئ مغنييها .

أوليس : أوليس المخادع ، أوليس مثير القلاقل .

حاشية ٢ : هل عرفته ؟

أوليس : في طروادة . وهكذا كان يُعرف .

ألسينوس : رياح طروادة لامست برمادها كل جزيرة .

حاشية ١ : تفعل حسناً لو غنيت لنا عنه يا فيميوس .

ناوسيكا : أتعرف قصصه ؟

أوليس : ذلك الكذاب أوليس ؟

حاشية ٢ : إحك لنا حكاياته أيها الغريب .

أوليس : بنثر بحّار ؟

حاشية ٣ : بما أنه أعمى فسيحيكها في أغنية واحدة .

حاشية ١ : تستطيع أبياته أن تطن مثل تتابع السهام .

حاشية ٢ : أو كموجات ترتفع عن الصخر الصلصالي على مدى الأفق .

حاشية ١ : إنها مثل مجاديف جبارة ترتفع . ذاك هو ثقل أبياته .

حاشية ٣ : ترتطم مثل حراب في قلب هذه الأرض .

حاشية ٢ : يربك العرافين . يستطيع سماع نوايا الطير .

حاشية ١ : يستطيع أن يشم دخان طروادة وهي بعيدة بما فيه الكفاية .

ألسينوس : يستطيع أن يحس بالحقيقة . كما يتحسس العميان الريح .

فيميوس : الذي يبقى هو الذي ينحني . والرجل المراوغ هو الذي ينجو .

ألسينوس : لم تقول ذلك يا فيميوس ؟ ألأنك أعمى ؟

فيميوس : تلك هي الحالة مع الدموع .
فالجداول الملتوية تلتحق بأنهارها .

ألسينيوس : ولم استغرقت هذا الوقت كله حتى تصل إلى مملكتك ؟

ناوسيكا : حيث أنك لم تلق رحمة من البحر فاجعل شاطئك هنا .

أولـــيـــس : لم يسبق لجوّاب أن حظي باستقبال أكثر حرارة .

نـاوسـيـكـا : إحك لنا عن انسحاره .

أولـــيـــس : أسمعتم بكاليبسو ؟

المستمعون : نعم .

أولـــيـــس : زنداها الرخاميان احتضناه سبع سنين .

نـاوسـيـكـا : وأي نوع من النساء هي ؟ أعرف . ناعمة . ولكنها صارمة .

أولـــيـــس : لم يستطع أوليس أن يتعرف على أوليس .

نـاوسـيـكـا : معظم النساء اللواتي يبدين مثل التماثيل لديهن قلوب من حجر .

أولـــيـــس : يحزم الزبد خصر جزيرتها بزنار مزركش أبيض .

حـاشـيـة ١ : ناوسيكا تحمر خجلاً . أنظر .

نـاوسـيـكـا : غير صحيح . لا تتوقف بسببي .

ألـسـيـنـوس : إنها ابنة أطلس . وماذا يسمون المكان ؟

أولـــيـــس : مثل رابيتها البيضاء الغامزة ، سرة البحر .

ألـسـيـنـوس : عد بنا إلى جزيرتها . طالما أنك قد شفيت .

أولـــيـــس : مدخل أزرق لكهف . مرمر ، ورخام سمّاقي .

نـاوسـيـكـا : إنني أغلق عينيّ .

أولـــيـــس : موجات من الضوء على السقف .

نـاوسـيـكـا : أسمع نبعاً ناعماً ذا ضحكة خافتة مثل امرأة .

ألـسـيـنـوس : مازلت صغيرة على هذا كله . ولقد تخيلت ما فيه الكفاية .

أولـــيـــس : لا . دعها تتعلم أن لا تستغل براءتها .

نـاوسـيـكـا : جسدان ملفوفان بالشراشف البيضاء كالموج .

أولـــيـــس : أيتها الحورية . إتركي ملحك العذب واشفي لي خطاياي كلها .

ألسينوس : أكان السحر كامناً في الجزيرة ذاتها ؟
أوليس : فيها وفي الجزيرة . صدع من اللحم وصدع من الحجر .
ناوسيكا : سرعان ما ستصير لديّ القوة لتذويب الرجال الكبار .
ألسينوس : «لناوسيكا» يا بنت .
«لأوليس» يقولون إنها تروض المخلوقات الشرسة وليس الرجال فقط .
أوليس : إن الأسود تخرخر* بين يديها ، وترخي الذئاب آذانها .
ألسينوس : وهذه الوحوش البرية تحرس باب الضوء في كهفها .
أوليس : كانت تهدر وتدمدم حين تعبر أفكارُ البيت ذهن أوليس .
حاشية ١ : ولكن ألم يجد المسرة في قبرها السعيد ؟
أوليس : لا . بل غرق في حزنٍ ما من جسد يستطيع شفاءه .
حاشية ١ : حزن ؟
أوليس : شوق لجزيرته . وقد سمعته يبكي .
ناوسيكا : حتى حين كانت تحتضن جسده وتمسح شعره ؟
أوليس : كانت الفهود ذات العيون الوهاجة تحرس نومهما .
ناوسيكا : إنها متيمة بإنسان فان . تلك الإلهة التعيسة .
أوليس : وهكذا ساعدته على بناء طوافة من شجرة والربط بعيدان الكرمة .
ناوسيكا : وغادر ؟
أوليس : غادر ذات فجر حين فتحت الغيوم أبوابها .
فيميوس : يا لتلك الطوافة المصنوعة من العروق .
إن أجسادنا تتوق إلى شواطئها البعيدة .

---

* صوت الهرة وهي مطمئنة .

ألسينوس : ولكنه بقي ضيفها سبعة أعوام ووسادته الغيوم .

حاشية ١ : كيف يستطيع الإنسان الفاني التخلص من بين ذراعين خالدين ؟

أوليس : لأن روحاً أخرى كانت تخيم على ذلك الشاطئ .

حاشية ١ : روح من ؟

أوليس : روح زوجته . تَجهز الطوف . وجاءت اللحظة .

« صمت » .

ألسينوس : الآن ؟

أوليس : قدمت له الإلهة ألوهية . ولكنه رفض .

حاشية ١ : رفض الخلود ؟ يا إلهي! قل لنا : لماذا ؟

أوليس : كان يشتاق إلى الصخرةالتي تخصه . والتي هي وعرة على الخيل .

حاشية ١ : يفضلها على السماء ؟

أوليس : بدا الأمر طبيعياً . الرجال يحبون ثم يموتون .

حاشية ١ : ولكن اسمه ، أوليس ، يثبت بين النجوم .

أوليس : كان يفضل إشعال القنديل في بيته .

فيميوس : وذلك البيت سيكون المصباح الذي تهتدي به طوافته .

ناوسيكا : أغوال . المزيد من الأغوال . هاتوا لنا قصص أغوال .

أوليس : إنك تطالبين بما يوشك أن ينساه . حسن . أغوال .

ألسينوس : ستتكور اليوم تحت شراشف نظيفة ، في صَدَفة النوم .

ناوسيكا : ستشم رائحة المطر في الأرض . وحين تضاء جوانب التلال...

ألسينوس : سترى الكروم القرمزية ترتقي المنحدرات .

ناوسيكا : ثم ترى عربة الزواج تجرها الثيران التي تهز رؤوسها .

أوليس : « وهو يضحك » هووا . هوووا ليس بهذه السرعة .

إنك تستحقين زوجاً طيباً .

ناوسيكا : أهناك كلمة «ولكن» ؟

أوليس : كيف سأشرح الأمر لزوجتي ؟

«ضحك» .

ناوسيكا : قل لها إنك قد قابلتني ،

وإنه قد جرفك الموج عن سفينتك . و...

أوليس : هذا صحيح .

ناوسيكا : ألن يسعدها أنني أنقذت حياتك ؟

ألسينوس : إنها فتاة ذكية ولكنها ساذجة بالنسبة لعمرها .

ناوسيكا : الإلهات يستطعن أن يكنّ مبتذلات جداً .

فالكهوف مصنوعة من الأحجار الكريمة .

ألسينوس : «لفيميوس» إسمع أيها الشاعر . ولتختم عيناك كل صورة .

ناوسيكا : تذكر أنك سمعتها خلال الألعاب الفييشية .

أوليس : الوقائع التي سأرويها ياسيدي مليئة بالحوادث المرعبة .

ناوسيكا : إننا نسترخي تحت الشمس . ولا تأتينا الكوابيس .

ألسينوس : فلننتقل إلى غرفة أخرى لسماع هذه القصص .

أوليس : بعض هذه القصص قد تجعل أذنيها البريئتين تحمرّان .

ناوسيكا : أوه! أرجوك ، أرجوك . إبدأ قصصك .

لديك الكثير مما ستكسبه .

أوليس : تخيلي إذاً جزيرة حديدية . باردة وبلا شمس .

ناوسيكا : إنني أرتعش .

أوليس : المستقبل هو حيث نبدأ .

ناوسيكا : أهذا مجرد حلم ؟

أوليس : لا . بل هو المكان الذي تُقتل فيه الأحلام .

« يخرج الجميع . ما عدا بيلي بلو وفيميوس وعناصر الحاشية الثلاثة » .

حاشية ١ : يمكنك صياغة قصيدة متينة من هذا .

حاشية ٢ : ستمتطي الزمن إلى المجاهل .

فيميوس : سمعت ذلك الصوت في طروادة . إنه أوليس .

حاشية ٣ : لم يكذب بخصوص ذلك ؟ أعتقد أنه دهاؤه الطبيعي .

« يخرجون » .

جوقة زواج : « من بعيد »

الموت من أجل عين هو الأفضل . إنه المجد لأعظم .
دولتشي إيت ديكوروم إيست برو باتريا موري .
ليس هناك (أنا) بعد العين . ولا تاريخ .
إلا تاريخه هو ، أوليس . وكانت تلك قصته الأولى :
بحر ، كالرصاص ، وثقيل ثقل الزمن في الماء .
ومرفأ كئيب ، معتم دائماً .
ما من طائر بحري يخفق بجناحيه ، لألف سنة في المستقبل ،
في الزمن ، الذي يغير الأجساد حيث هي مغطاة .

المشهد الثامن

«رصيف تحميل (بحري) طويل وفارغ ورمادي .خروف مذبوح مفرغ الأحشاء ومعلق على عمود . برميل زيت يتدحرج . يركض وراءه الفيلسوف لينقب في محتويات البرميل . يدخل أوليس وإيوريلوكوس وبحاران» .

إيوريلوكوس : هذا مخيف يا سيدي . أية مدينة هذه ؟

بحار ١ : كيوم سبت طويل . رصيف فارغ لا نهاية له .

«يركض الفيلسوف نحوهما» .

الفيلسوف : التاريخ يعيد نفسه . أوليس آخر .

أوليس : توقف .

الفيلسوف : أيها الجوال . إنك تحتاج إلى نصيحة .

بحار ١ : إسمع . مارس طنينك بعيداً من هنا .

الفيلسوف : لقد امتدحوك ذات مرة يا أوليس ، أيها الشبح المحرم .

أوليس : ليست لدي فضيلة تتفوق على فضائل الآخرين .

الفيلسوف : طيب . ستسمع الآن إلى أي هدوء تستطيع أن تصل بلاد ما .

إيوريلوكوس : بعيداً عن هذا الثغاء من الأغنام المحشورة في الحظائر .

بحار ١ : في كل مكان هناك تلك العلامة لعين هذا العملاق .

الفيلسوف : يصبح الإنسان لا شيء عند دعوة الصفر هذه .

أولـــيـــس : أهذه هي اليونان التي أحببت ؟ أهذه مدينتي ؟
الـفـيـلـسوف : مهد الفلسفة حيث الفكر ممنوع .
أولـــيـــس : أأستطيع أن أرى (العين) .
الـفـيـلـسـوف : لا . بل (العين) هو الذي يرانا .
إيوريـلوكـوس : (العين) هو الراعي عندهم . والأمة هي قطيعه .
الـفـيـلـسوف : عد إلى عصر الأبطال ذاك يا أوليس .
أولـــيـــس : أود أن أرى هذا الغول . أيبكي ؟
الـفـيـلـسوف : لا .
أولـــيـــس : والجدار ؟
الـفـيـلـسـوف : مرفوع لكي يبقينا في الحظائر .
أولـــيـــس : فهذه المدينة إذاً ليست سوى كهفٍ عملاق .
الـفـيـلـسوف : مع إزالة التاريخ لايظل إلا صيغة الحاضر .
أولـــيـــس : إنني أخرق الجدران .
الـفـيـلـسـوف : من أجل الحرية التي لا يجرؤ الناس على الحلم بها .

« صوت بعيد لمسيرة على أسطح المدينة . غناء » .

إسمع .

ما هو المجد الأفضل والأعظم للعين ؟

دولتشي إيت ديكوروم إيست ـ

أن تموت بحماس من أجل كذبة .

برو باتريا موري .

إيوريـلوكـوس : لا فن ولا مسرح ولا حتى سيرك .
الـفـيـلـسوف : هذا عصر الكولونيلات الرماديين . المطر الرمادي .
إيوريـلوكـوس : وبـهذا فتلك العين الباردة هي كل ما يـعرفه اليونانيون عن السماء .

الفيلسوف : تماثيلهم تبكي سخاماً على خرائب التاريخ .

أوليس : هزني يا إيوريلوكوس . أيقظني من هذا الحلم .

« صوت إغلاق باب هائل » .

إيوريلوكوس : أوصد الكهف . لم نعد نستطيع المغادرة يا قبطان أوليس .

الفيلسوف : المستقبل يحدث . مهما زعقنا .

« صوت أبواط على حصى . يدخل رجلا دورية بسترتين من جلد الغنم ، وهما يحملان السلاسل » .

بحار ١ : لقد عثرت العين علينا .

الفيلسوف : إنبحوا . أطيعوا . وافعلوا كما يقول .

دورية ١ : لا تكلموا هذا . لقد شتم العين .

الفيلسوف : جاء دوري .

دورية ٢ : بالمناسبة . ما اسمك يا سيدي ؟

« يقبضان على الفيلسوف » .

الفيلسوف : اسمي سقراط أرسطو لوكريتوس . فيلسوف .

« يأخذانه إلى جدار . يُقيَّد وتُرفع يداه عالياً » .

دورية ١ : أخفضوا رؤوسكم يا غنم . الراعي العظيم جاء .

« يفتح باب فيقترب السيكلوب ببطء . أصوات جماهير تهتف من بعيد » .

الفيلسوف : « يستظهر » كنت واحداً بين الآلاف في الساحة .
ولكنني أتأخر دائماً .
وكنت بعيداً جداً في المؤخرة . فكان صعباً أن أرى
الابتسامات على الوجوه الصغيرة على الشرفة .
الذين في المقدمة بالقلنسوات والجدائل والميداليات

وأولئك الذين في المؤخرة بالسترات والقبعات المتشابهة
الذين لم يكونوا يلوحون مثل الذين في الوسط ،
وهم يكررون تحويل وجوههم إلى عملة أو طوابع بريد .
كان علي أن أكون هناك مع الضحايا الهادرة ،
الذين كانوا يمدون أعناقهم أو يرفعون الأطفال
وهم يعوون ويقفزون عالياً كالكلاب التي تدربها
في تلك الساحة المكتظة المحشوة
التي كانت تبدو قبراً جماعياً
برائحة مستمدة من الفورمالديهيد أو الأدرينالين
تعلّم ما أتذكره ، من أن يوماً سيأتي يمكن فيه إنقاذه .
ولكنني أقسم ، على قبري ، وقد انتهى كل شيء الآن ،
وقد فرغت الساحة والشرفات ،
أنني كنت هناك . ولكنني لم ألوح بيدي .
« رجلا الدورية يسحبانه » .
فليتذكر اليونانيون أوليس الشجاع .
« السكلوب يواجه أوليس » .

السيكلوب : لا تحدق .
أوليس : آسف .
السيكلوب : ما اسمك ؟
أوليس : لا أحد .
السيكلوب : من أين أنت ؟
أوليس : من لا مكان .
السيكلوب : « يهز رأسه » إلى أين أنت ذاهب ؟
أوليس : لا أعرف .

السيكلوب : لا أحد .
من لا مكان .
ولا يعرف إلى أين هو ذاهب .
طبيعي .
أليس كذلك ؟
أوليس : نعم .
السيكلوب : ما الذي تؤمن به ؟
أوليس : لا شيء . حتى الآن .
السيكلوب : لا شيء ؟
ولا بالعين العظيمة .
أوليس : ليس بعد .
السيكلوب : «يضحك» ليس بعد ؟
لبعد* .
ولماذا ليس بعد ؟
أوليس : أنا لا أعرفك .
السيكلوب : أنا أرى الجميع .
كل شيء .
أتصدق أنني أرى كل شيء ؟
أوليس : لا .
السيكلوب : لا ؟
أوليس : أنت ترى لا أحد .
السيكلوب : أنا أراك .

---

* يدمج الكلمتين بشكل مقصود .

أوليس : أنا لا أحد .

السيكلوب : «يضحك» هذا ما قلتَه .

أوليس : كل ما تراه هو لا أحد ولا شيء .

السيكلوب : العين يحبك .

أوليس : الأبشع هو الكذاب . ولذا فأنت بشع فعلاً يا سيدي .

السيكلوب : لاااااااا ؟

كم أنا بشع ؟

«أوليس يرقص» .

أوليس : يا رجل . أنت بشع إلى درجة لا أحد يصدقها .

السيكلوب : إلا أنت .

أوليس : «بلهجة الزنوج»

أنا لا أحد دادا . أنت بشع . وأنا أصدق ذلك .

السيكلوب : «بضحكة صاخبة» يا إلهي . أية لهجة هذه ؟ سأموت .

أوليس : سيحدث . سيحدث . يا معلمي .

السيكلوب : «يبكي من الضحك»

توقف . أنت تبكيني .

أوليس : ضحك ودموع . صحيح ؟

ينسكبان من العين الواحدة .

السيكلوب : أنا منهك .

أنت ظريف . سأراك مرة أخرى .

أوليس : ليس إذا رايتك أولاً يا رجل .

السيكلوب : أنت قاتل يا لا أحد .

أوليس : «يضحك» ليس بقدر ما أنت قاتل يا رجلي .

السيكلوب : ستأتي إلى العشاء .

أولــــيـــس : ظننت أنني أنا كنت العشاء .

« يخرج السكلوب وهو يضحك بصخب . إيوريلوكوس والبحاران ينهضان وينضمان لأوليس » .

إيوريلوكوس : ما الذي نعرفه نحن ؟ فكر يا قبطان أوليس .

بـــحـــار ١ : لديك بعض الأفكار . أنت مشهور بالتخطيط .

أولــــيـــس : دعني أفكر . دعني أفكر . هناك طريقة ما للخروج من هذا .

بـــحـــار ٢ : إنهم يعودون . يا إلهي . دعنا كلنا نكون في حلم .

« رجل الدورية يعود » .

بـــحـــار ١ : هيا بنا إذاً . إنهم يحتاجون إلينا . لا تتذمروا ولا تنحنوا .

إيوريلوكوس : أجيال من البشر كبذار منثور في الريح .

« أوليس يعترض طريق رجل الدورية » .

أولــــيـــس : إسمع . السكلوب أحبني يا سيدي . وأنا صديقه العزيز .

بـــحـــار ١ : يا إلهي ياسيدي . يا إلهي . أرجوك يا قبطان .

أولــــيـــس : خلفوه وراءكم .

« البحاران وإيوريلوكوس يتحركون » .

المشهد التاسع

«مائدة عشاء . ليل . أوليس والسكلوب يأكلان . يخدمهما خادم ، (رام)» .

السكلوب : أتعرف ما الذي تأكله ؟ رجالك . طيبون كلحم الغنم .

«يتوقف أوليس . ثم يأكل» .

أوليس : وأنت . أتعرف ماذا يسمون هذه القطرات التي تنزل من عينيّ ؟

دموع .

«يتوقف عن الأكل» .

السكلوب : عيناي تغيمان حين أضحك .

يجب أن تعلمني كيف أبكي .

أوليس : حسن . أولاً يجب ان تفقد أشياء تحبها .

السكلوب : ثم أبكي هكذا ؟

«يعتصر عينيه المغمضتين» .

أوليس : ليس تماماً .

السكلوب : «يفتح عينيه» . أنا أحب الضحك . أضحكني أيها الرجل الصغير .

أوليس : أضحكك . لا بأس . أتعرف لماذا أحْول عيني ؟

«يحول عينيه» .

السكلوب : «يقهقه» لا . لماذا ؟

أوليس : أعطانا الإله عينين لأننا بشر .

السكلوب : وأنا لا .

أوليس : واحدة للضحك . والثانية تبكي .

السكلوب : إفعل . أرني . يا رام . تعال إلى هنا . أنظر إلى هذه .

«أوليس يجعل وجهه في شكل مضحك . رام يتقدم» .

رام : رائع يا سيدي . لا أحد ممن أعرف يستطيع ذلك .

«يعود إلى موقعه» .

السكلوب : أنا أحب (لا أحد) .

أوليس : والأمر ذاته هنا . لا أحد يحبك .

السكلوب : أنظر . لم تحتاج إلى عينين ؟ واحدة تقوم بالعمل ذاته .

أوليس : للتوازن . النسب . التضاد .

البشر الفانون يحتاجون إلى اثنتين .

السكلوب : أنا نصف إله .

أوليس : اليمين ، اليسار . الخير ، الشرير . الجنة ، الجحيم .

السكلوب : لقد تحديت نفسي . أنا ابن بوزيدون .

أوليس : أنا أعرف أباك ، البحر . وهو لا يحبني .

السكلوب : لماذا ؟ سأكلمه .

أوليس : يا للآلهة . من يعرف مع من هم ؟

السكلوب : إن مزاجه سيئ معظم الأوقات . لكنه يستطيع التصرف بهدوء .

أوليس : قل كلمة طيبة إذاً . إنني أحاول العودة إلى بيتي .

السكلوب : البيت . أنت في بيتك الآن .

أولــــيـــــس : حسن . لم تكن تلك فكرتي تماماً .

« صمت » .

الـسـكـلـوب : ليست فكرتك ؟ لا وجود للأفكار في هذه المملكة .

أولــــيـــــس : لدي زوجة كما تعرف . ومثل عينيّ ، هناك اثنان يشكلان زوجاً .

الـسـكـلـوب : وأين ذلك ياصديقي الصغير ؟ قل لي : من أين أتيت ؟

أولــــيـــــس : صخرة . وعرة جداً على الخيل . وبشواطئ ذات دوامات دائمة...

الـسـكـلـوب : ما القطعان التي لديكم ؟ معزى ؟ غنم ؟ أهي مملكة ؟

أولــــيـــــس : نعم .

الـسـكـلـوب : وهل أنت ملكها ؟

أولــــيـــــس : نعم . ولكن ليس مثلك .

الـسـكـلـوب : بأي معنى ؟

أولــــيـــــس : رعاياها لا ينتهون على السفود .

الـسـكـلـوب : « يضحك » . أتعني مثلما انتهى رجالك ؟

أولــــيـــــس : فعلاً .

الـسـكـلـوب : وكم أكلتُ ؟

أولــــيـــــس : من بحارتي ؟ اثنين فقط . على ما أظن . ولكن قبلهم عشرات .

الـسـكـلـوب : يُطرُّون بالتعذيب . اللحم يُضرب ويُدق .

أولــــيـــــس : وفي الوقت ذاته تثغو أغنامكم خوفاً من ملتهميها .

الـسـكـلـوب : ولكنني أبقيك إلى الأخير .

أولــــيـــــس : هذا لطف كبير .

الـسـكـلـوب : شكراً .

أولـــيــــس : اثنين من بحارتي . وفيلسوف .

«أوليس يمسك بسيخ السفود من فوق النار» .

أولـــيــــس : أنظر كيف يتوهج هذا القضيب الحديدي في طرفه .

الـسـكـلـوب : إغرزه في اللحم .

«أوليس يلقي بالسيخ»

أولـــيــــس : ساخن جداً .

الـسـكـلـوب : رام . إجلب سيخاً نظيفاً .

«أوليس ينزل على ركبتيه ، ويبحث عن السيخ ، ثم يخبئه» .

أولـــيــــس : لا . لا . هذا لا بأس به . سألتقطه .

الـسـكـلـوب : إجلب سيخاً نظيفاً يا رام .

أولـــيــــس : «من تحت الطاولة» لا . لا حاجة فعلاً .

الـسـكـلـوب : إتركه .

«رام يخرج . أوليس يتطلع وهو على ركبتيه . يقترب من الباب» .

أولـــيــــس : هذه طبيعتي . آسف . أنا أكره أن أفقد الأشياء .

الـسـكـلـوب : إنهض عن ركبتيك .

أولـــيــــس : رجالي . ومالي . والطريق إلى بيتي .

الـسـكـلـوب : وحياتك بعد ذلك .

أولـــيــــس : لست آبه لذلك . ولكنني أكره أن أفقد الأشياء .

الـسـكـلـوب : «ينزل على ركبتيه للبحث» . سأساعدك في البحث .

أولـــيــــس : لدينا الآن ثلاث عيون . أين راح ؟

الـسـكـلـوب : لا يمكن أن يكون قد راح بعيداً . ورام سيعود سريعاً .

أولـــيــــس : أنا أستسلم . ولكنني أكره ذلك .

هناك أمر واحد يجب أن تعرفه .

السكلوب : وما هو ؟

أوليبس : أن السماء تغرق في ظلام دامس حين لا يكون هناك قمر .

«يزحف إلى قرب السيكلوب . يخرج السيخ . يعميه» .

«سواد وإظلام . نواح سيرانات» .

السكلوب : (لا أحد) قد هرب . (لا أحد) أعماني .

مكبر صوت : أكرر . لا أحد قد هرب . تابعوا البحث عنه .

لا أحد قد هرب . لا أحد قد أعمى العين .

السكلوب : لا أحد . أتسمعني ؟ لا أحد هو اسمه .

أوليس : «يصرخ مجيباً» . يا ابن بوزيدون! أنت أيها

الأخطبوط القذر .

أنت يا طناً من خراء الرخويات .

أنت يا ذا العين التي تذرف الحبر الأسود .

ليس اسمي لا أحد . إنه أوليس .

وتعلموا أيها الطغاة الحقيرون

أن البشر يظلون قادرين على التفكير .

«السيرانات تنوح . السكلوب يلتقط برميل زيت ويلقي به

نحو أوليس المتراجع وهو يصرخ» .

المشهد العاشر

«جزيرة شيرشي . شاطئ . مزرعة برية غنية . بعض البحارة يهدهدون . امرأة تضرب طبلاً . أوليس وإيولوكوس يدخلان» .

بحـــار ١ : در حول قبور أجسادنا أيها المسافر . إعبر .

«يجلس أوليس قرب بحار» .

أوليـــس : أيها البحار . من أين هذه اللامبالاة المفاجئة ؟

بحـــار ١ : هذه الوردة الحمراء تهز رأسها بالموافقة مع العشب .

أوليـــس : مرض النوم . كانت معبأة بعطرها .

إيوريلوكوس : لقد توجهتم إلى الشاطئ بحثاً عن الماء العذب . فلنعد إلى السفينة .

أوليـــس : خدّرتهم الجزيرة . لم تعد لديهم الرغبة في الاستمرار .

إيوريلوكوس : رؤوسهم معلقة مثل عباد الشمس .

«يهز بحاراً» .

بحـــار ١ : قل للبحر أن ينام .

بحـــار ٢ : هنا يستغرق الأسد طوال ما بعد الظهر حتى يتثاءب .

بحـــار ٣ : إنضم إلينا يا قبطان . إن التطلع إليك وأنت واقف يتعبنا .

إيوريلوكوس : ماذا أكلتم ؟ ما الذي غيّركم ؟ ما هذا المكان ؟

بحـــار ٣ : هذا المكان ؟ الجزيرة التي كنتم كلكم ترغبون بها .

أولـــيـــس : الشلالات .

إيوريلوكوس : ماذا ؟

أولـــيـــس : الشلالات . السلام الهادر .

إيوريلوكوس : أوتستطيع أستارها أن تربط أطرافهم بهذا الإحكام ؟

أولـــيـــس : وأطرافي .

« إيولوكوس يهز أوليس » .

إيوريلوكوس : تحرك . تحرك .

أولـــيـــس : مع أن شوقي لبيتي قوي كأشواقهم .

إيوريلوكوس : تابع حركتك يا قبطان .

« أوليس ينزلق أرضاً » .

أولـــيـــس : عظيم وكبير جداً... ذلك العبء الذي يسمونه الحب .

« إيولوكوس يرفع أوليس » .

إيوريلوكوس : إنهض . إنهض .

بـــحـــار ١ : إستسلم كالليلك لثقل السنين .

بـــحـــار ٢ : أشكال الحب كلها لا معنى لها باستثناء حب الذات .

إيوريلوكوس : من فعل ذلك ؟

الـــمـــرأة : شيرشي .

بـــحـــار ١ : لا تتنفس يا قبطان . لم العجلة ؟

بـــحـــار ٢ : القبر يقترب منا . لا داعي للحركة .

بـــحـــار ٣ : القبر الذي جئنا منه كلنا كان يختبئ وراء شجيرة .

بـــحـــار ١ : وعندها بدأ الشك يعمل وأنتج العقل .

إيوريلوكوس : ما لذي في هذا العشب مما يجعل الناس فلاسفة ؟

أولـــيـــس : رأسي يصفو الآن . مثل ضباب أزاحته الشمس .

إيوريلوكوس : حسن يا رجال . هيا بنا نعود إلى السفينة .

بــحـــار ١ : ورود كالنار .

إيوريلوكوس : حاول يا بحار . كيف تشعر الآن ؟

بــحـــار ١ : في أرخبيل مختلف . ولكن الأمر ذاته .

بــحـــار ٢ : إنهم يعبدون العناصر . ويركعون كما تركعون أنتم .

بــحـــار ٣ : لكل إله جذره الأرضي .

بــحـــار ٢ : مجرد اسم مختلف .

بــحـــار ١ : آلهتهم تتشاجر مثل آلهتنا وتتقاذف النيازك .

بــحـــار ٢ : يضحّون بالثيران . ويشربون دماءها من قدور فخارية .

بــحـــار ١ : ويدورون ممسوسين حول مذابح الهذيان .

بــحـــار ٣ : ثم يجرحون الأرض وينزلون إلى حيث الأرواح .

« موسيقى . يدخل معربدون بأقنعة حيوانية وهم يغنون » .

جــوقـــة : « تغن » .

أيايا... أيايا... أيايا... أيـ ـ يا ـ يا .

جزيرتي الزمردية

بين البحر الأزرق ، والسماء الزرقاء

جزيرة الكاليبسو .

أيايا... أي ـ يي ـ أو

باكانال (باخوسي)

وكرنفال

هو المكان الذي نذهب إليه .

الرحمة يا إلهي .

قبل موتي

دعني أضطجع مع الآنسة شيرشي .

وهي تربت على رأسي

وهي تربت على رأسي الأصلع
الذي فيه عين واحدة
وحين تتوقف
إجعلني أنا السيكلوب أسقط ميتاً .
الرحمة يا إلهي
واغفر خطاياي كلها فهي حقيقية .
ولكن حين تسقط عليّ تعويذة شيرشي
أتحول إلى وحش .
«تظهر شيرشي على محفة يحملها حمالون كبيرو الرؤوس» .
إرحميني يا شيرشي
واجعليني أتحول إلى وحش أيضاً .

المشهد الحادي عشر

«ديكور أحمر . شيرشي في مبغاها مع البحارة وهم على هيئة رجال ـ خنازير . بنات . بيلي بلو وأوليس وإيوريلوكوس يدخلون» .

إيوريلوكوس : نريد استعادة بحّارتنا يا مدام .

أوليس : بعد إذنك .

شيرشي : أسَبَقَ لكم أن رأيتم ما يشبه ذلك ؟

أوليس : ليس تماماً .

شيرشي : تحبون أن تتفرجوا ؟

أوليس : ليس على رجالي .

شيرشي : أترى رجالاً ؟ آسفة . مَني . أرى خنزيراً .

«تضحك» .

إيوريلوكوس : هذه العشبة القوية تمسخ الرجال .

شيرشي : بل الحيوان الداخلي يقفز من بين قسماتهم .

أوليس : خصلاتها السوداء تنسكب مثل لبدة الأسد الذهبية .

إيوريلوكوس : أعمدتهم الفقرية تحني ظهورهم .

ولديهم عيون صغيرة داعرة .

شيرشي : ولكن ما صاروا إليه هو ما كانت طبيعتهم تتوق أن تكونه .

«تتدحرج بين المخلوقات ، وهي تمسهم بصولجانها . أوليس وإيوريلوكوس يمشيان وسط الزحام . تأوهات ونخرات من بعيد » .

إيوريلوكوس : موسيقاها تمتزج برائحة النزو .

أولـــيـــس : العطور لن تزيل تلك الرائحة .

إيوريلوكوس : عرَصاتها حظائر قُباع الخنازير .

أولـــيـــس : ولكن بالنسبة لساحرتنا إنها تعرف أمراً مؤكداً .

إيوريلوكوس : وما هو ؟

أولـــيـــس : هو أن المباغي ليست حلم البحارة وحدهم . بل هي حلم الرجال كلهم .

إيوريلوكوس : ليست حلمي أنا .

أولـــيـــس : الكل .

إيوريلوكوس : لا تستسلم يا سيدي . أنتِ لديك زوجة وابن .

أولـــيـــس : في خلفية عقول الرجال كلهم غرفة مستأجرة .

إيوريلوكوس : كراهيتها يمكن التخلص منها . إنها ترى أن الرجال خنازير .

أولـــيـــس : إننا نخلق صورتنا بأنفسنا .

«تظهر أثينا . تقدم وردة . وتقف في طريق أوليس » .

أثـــيـــنـــا : إنتظر . إعلك هذه الوردة الحليبية . إنهم يدعونها المولي* .

أولـــيـــس : وما قوتها ؟

أثـــيـــنـــا : إعلكها . وتصير خارج نطاق سيطرتها .

---

* نبات أسطوري ذو جذر أسود وزهرات حليبية وقوة سحرية . (المورد)

أولـــيـــس : وأين عثرت عليها ؟ إنها مخططة . ويبدو نسغها حليبياً .

أثـــيـــنـــا : في غابة مرقطة . تعرفها الآلهة .

إعلكها . إعلكها وإلا فستتغير .

أولـــيـــس : «لإيوريلوكوس» هل أكلت منها ؟

إيوريلوكوس : ليس بعد .

أولـــيـــس : وهل ستنفع ؟

إيوريلوكوس : نعم . نعم .

أولـــيـــس : إسمع . قد يكون عظيماً أن تصير خنزيراً كنوع من التغيير .

إيوريلوكوس : مع القباع بدل اللغة ، وعضو لولبي ، وأذنين هلبيتين .

أولـــيـــس : «يمضغ» بصحتك .

إيوريلوكوس : ها قد جاءت مضيفتنا ومعها مقبلاتها .

«شيرشي تقترب» .

شـــيـــرشـــي : أأخذت واحدة من هذه ؟ إنها لذيذة مع الخمر .

أولـــيـــس : لا . إنها تبدو لطيفة . من تجاربك الصغيرة ؟

شـــيـــرشـــي : بيدي الصغيرتين .

«تصفق بيديها» .

عودوا الآن إلى زرائبكم أيها الخنازير .

«تسوق الرجال الخنازير وتبعدهم ، ثم تمسك بيد أوليس» .

أولـــيـــس : إلى أين سنذهب يا مدام ؟ وماذا عن صديقي ؟

شـــيـــرشـــي : دعه يكتشف تسليته بنفسه .

وليستأجر غرفته بنفسه .

أولـــيـــس : «لإيوريلوكوس» هذا كرمى للبحارة .

شـــيـــرشـــي : لن نتعب في البحث .

أولـــيـــس : ولكن أين ؟

شـــيـــرشـــي : وأين في غير طريق النساء ؟ العطر .

«أوليس وشيرشي يخرجان . فتاتان تبادران إيوريلوكوس» .

فـــتـــاة ١ : ماذا هناك يا سيد ؟ تبدو تائهاً .

فـــتـــاة ٢ : كيف تحس أيها البحار ؟ وما هذا الذي في جيبك ؟

إيوريلوكوس : لا يهمني أن تبادراني . شكراً لكما .

فـــتـــاة ١ : مجاناً .

«يبحث إيوريلوكوس في جيوبه» .

فـــتـــاة ٢ : وما الذي تبحث عنه في جيوبك ؟

إيوريلوكوس : ضاع .

فـــتـــاة ٢ : ضيعته ؟

إيوريلوكوس : وردة .

فـــتـــاة ٢ : دعني ألتقطها .

«تلاطف إيوريلوكوس بينما الفتاة الأولى تجبره على مشروب . ترجعان . إيوريلوكوس يتحول إلى خنزير . تضحكان . تطاردانه وتمسكان به . إحداهما تركب عليه . والأخرى تضع إكليلاً حول عنقه . وتقوده وهو يحاول المقاومة» .

المشهد الثاني عشر

«في الداخل . تهيئ شيرشي شراب أوليس . وتضع فيه مسحوقاً . بيلي بلو يدخل» .

بيلي بلو : «يغني»

أعطته خصلة شعر لامعة ليشربها . أعطته (يجب أن تفعل أيها الرجل)

هيأت له خمرة الكشمش .

ولكن علمه ظل في منتصف السارية .

سكبت له بعض الزيت الحلو وخلطته بمسحوق الزعتر

والكزبرة والريحان والسيراسي .

ولكن وردة المولي تحدتها .

قوة الزواج .

لا . لا . يا دودو .

لدي رسالة لك . حلوة مثلك

وأنت أحلى من عصير الجوافة .

لدي زوجة في البيت .

وهي تريدني أن أعود

وأنا أحتفظ بكل شيء لها .

«يرتشف أوليس من الشراب . شيرشي تتعرى على مهل» .
لدي زوجة في البيت .
وهي ترجوني أن أرجع .
وأنا أحتفظ بكل شيء لها .
إنها تخلع رباط كتفها وترفع حاشية ثوبها .
وتخلع حليها .
وطوال الوقت تبقي عينيها السوداوين الواسعتين عليه .
شيرشي تحيط به من أجل شيء من اللهو
بالخزامى وماء الورد والسيراسي
ولكن المولي تقويه على مهل ، على مهل .
وهو يفكر فيما يشرب
لا .لا . يا دودو .
لدي رسالة إليك .
عذبة مثلك .
وأنت أحلى من البُنبون*
لدي زوجة في البيت .
وهي ترجوني أن أرجع
ولذا فأنا أحتفظ بكل شيء لها .

شـيـرشـي : يليق بذلك الرجل الذي جرى له كل شيء .

أولـيـس : ما أريده بسيط جداً .
أن أصل إلى سريري .

شـيـرشـي : ستتعلم أكثر من الآخرين .

---

* نوع من المسكّرات .

أولئك الخنازير الذي أبقيهم في الحظيرة .

أولـــيـــس : وما الذي سأتعلمه من هذا ؟

شـــيـــرشـــي : بالنسبة لإلهة ؟ الألوهية .

أولـــيـــس : ولكن أي شكل سآخذ إن لم أكن سأظل إنساناً ؟

شـــيـــرشـــي : منخراي توسعا في اللحظة التي رأيتك تدخل فيها .

أولـــيـــس : لماذا ؟

شـــيـــرشـــي : رأسك مرفوع . مهرٌ فحلٌ يحيط بمهرته .

أولـــيـــس : ونزاؤك في الريح ؟

شـــيـــرشـــي : تدور حولها . تلطمها .

أولـــيـــس : ولكن الفحل متزوج .

«تضربه على فخذه»

شـــيـــرشـــي : وما الذي فعل هذا ؟

أولـــيـــس : خنزير بري . ندبة صيد .

شـــيـــرشـــي : إصطد خنزيري . نحن روحان متآخيتان .

أولـــيـــس : نعم ؟

شـــيـــرشـــي : أنت تعرف أننا كذلك .

أولـــيـــس : لسنا جسدين متآخيين . أنا المغامر ذو الندبة الخنزيرية .

شـــيـــرشـــي : لم يسبق للعقل أن قيدك يا أوليس .

«تدخل أثينا متخفية بهيئة خادمة» .

أولـــيـــس : صارت لدينا رفقة .

شـــيـــرشـــي : إنها صغيرة . أتحب أن تجربها ؟

أولـــيـــس : هي أيضاً ؟ هذا مرهق .

شـــيـــرشـــي : إنصرفي لشغلك .

«أثينا تخرج» .

أولـــيـــس : أنا واثق يا مدام أن هذه ليلة تُقضى بشكل حسن .

شـــيـــرشـــي : أنت في بيتك . البيت الذي بنته رغبات الرجال .

أولـــيـــس : مفارقات في مباغ . لمَ يكون هذا مختلفاً ؟

شـــيـــرشـــي : خداع دون حزن .

أولـــيـــس : الخنازير وحدها لا تحس بالذنب .

شـــيـــرشـــي : حين تتوهج السماء من أجسادنا الملتحمة .

أولـــيـــس : ماذا ؟

شـــيـــرشـــي : قوة تقلصك لاتحتاج إلى جلب النسيان .

أولـــيـــس : وزوجتي ؟

شـــيـــرشـــي : شفتاي الباردتان ستكونان شفتي بنلوبي .

أولـــيـــس : ها!

شـــيـــرشـــي : سنعيد خلق تكوّن ابنك .

أولـــيـــس : لا «بيت» ولا رحمة . المرفأ الأبيض . الحرارة .

«شيرشي ترفع شرشف السرير» .

شـــيـــرشـــي : بعد البحار القاسية تأتي الراحة .

من هذا القماش المتشابك يأتي الهدوء .

أولـــيـــس : آه على النوم على سريري المصنوع من خشب الزيتون ، والشمس تعبر ملاءته .

شـــيـــرشـــي : أرح رأسك على هذا الزند الأبنوسي .

«تلعق جسده وتتقلب . يتضاجعان . ثم ينامان . تدخل أثينا بهيئة خادمة . ترسم دائرة حول جسديهما . وتذر حولها الطحين . ثم تختبئ . شيرشي تنهض قافزة» .

أولـــيـــس : ماذا جرى ؟ إنك تقفزين من السرير مثل إعصار .

شـــيـــرشـــي : كان هنا أحد .

«تنهض . تتمشى موزعة الذهن» .

أولــــيــــس : الشراشف كلها مبللة بعرقك .

شــيــرشــي : سمعت صوتاً يقول : «أنت عاهرة شاذة . وستدفعين الثمن في النهاية» .

أولــــيــــس : صوت من ؟

شــيــرشــي : إلهة خضراء العينين . أنت المفضل عندها .

أولــــيــــس : ومن هي ؟

شــيــرشــي : نثرته حول هذا السرير . رمل أبيض .

أولــــيــــس : «يتذوقه» . ليس رملاً . إنه طحين .

شــيــرشــي : تلك الفتاة زحفت عائدة إلى هنا .

أولــــيــــس : أسمعتها تهمس بشيء ما ؟ أنا لم أسمع صوتاً .

شــيــرشــي : إننا محاطان بعين باردة لبومة . والموت في وسطها .

أولــــيــــس : الغابة كثيفة بالأغصان التي يتوالد عليها البوم .

شــيــرشــي : وهم رسلها . أمّ المطر والماء . أثينا .

أولــــيــــس : أنت باردة كجثة .

شــيــرشــي : رؤيا جمدت دمي .

أولــــيــــس : أرجعي رجالي إذاً إلى ما كانوا عليه .

شــيــرشــي : بومة بيضاء بأجفان من الحجر .

أولــــيــــس : فبومة طارت داخلة إذاً . ليس البوم كله نذراً . «أثينا تخرج» .

شــيــرشــي : إنها تختبئ خلف ستارة الشلال الغزير .

أولــــيــــس : ربما كانت تريد منك أن تعيدي خنازيرك إلى رجال .

شــيــرشــي : تظل كلماتها تبقبق مثل حوض بركة باردة .

أولـــيـــس : تخرّف الهراء .

شــيــرشــي : بأنك رجلها المختار .

أولـــيـــس : وماذا عن رجالي ؟

شــيــرشــي : الندم سيغيرهم فلا يبقون خنازير .

«تنزوي في زاوية وهي تئن» .

أولـــيـــس : لا تنزوي هناك مثل فتاة صغيرة . أرجوك . لا تئني .

شــيــرشــي : نهر من النار . نهر من الندب .

أولـــيـــس : إستيقظي . أنت تحلمين .

شــيــرشــي : يجب أن تنزل إلى الجحيم .

أولـــيـــس : يا طفلتي . الجحيم هو شبح المخيلة .

«تشير إلى ستارة النافذة التي يحركها الهواء» .

شــيــرشــي : أنظر . أنظر إلى الستارة .

أولـــيـــس : إنها ترتفع الآن مثل شراع .

«تنظر شيرشي تحت وسادة بحثاً عن ورق لعب . تفرشه . ترفع إحدى الأوراق بخوف» .

شــيــرشــي : دعني أتقصّ أنهار راحة كفك . إجلس . إفتحها .

أولـــيـــس : أنا لا أثق بالنحس وبالفأل .

«يفتح راحته . شيرشي تقرأها» .

شــيــرشــي : ديكٌ لشانغو أو لبيرسيفون .

أولـــيـــس : ديك منفوش الريش مثل أجاكس يتبختر في باحة بيتك ؟

«شيرشي تقبله» .

شــيــرشــي : يا حبيبي ، في هذه الدنيا التي كان فيها جسدك بوصلتي .

أولـــيـــس : حيث درت عشرين عاماً دون أن أعرف شمالي الحقيقي .

شـــيـــرشـــي : أدخل إلى الأرض المغناطيسية التي تعبرها أرواحنا .

أولـــيـــس : ولماذا ؟

شـــيـــرشـــي : ضاع الخلود . وفمي ملتصق بفمك .

«تقبله من جديد» .

أولـــيـــس : إفترضي أنها لم تكن نبوءة بل حلماً سيئاً .

شـــيـــرشـــي : لا .

أولـــيـــس : أنت ترتجفين . تعالي . سأرفع غيم شعرك .

شـــيـــرشـــي : رأيت أشيرون الأسود ، ذلك الجدول المنتن ،
وهو ينفث الدخان .

أولـــيـــس : ولكن أولئك الذين يعبرون إلى ضفته
لا يستطيعون الذهاب أبعد من ذلك .

شـــيـــرشـــي : وجوههم ستلتفت لملاقاة وجوهكم ، عدواً وصديقاً .

أولـــيـــس : سأحيي الموتى ؟

شـــيـــرشـــي : إحفر الخندق . واجعله طول ذراعك .

أولـــيـــس : أنت مجنونة .

شـــيـــرشـــي : سترى رجلاً أعمى متلفعاً بالريح السوداء .

أولـــيـــس : ظننت أن الخنازير وحدها ترى الريح .
وفي مزرعة خنازيرك .

شـــيـــرشـــي : سترش هذا الخندق المرتجل بالشعير البري والحليب .

أولـــيـــس : طقوس بيرسيفون . أتعرفين عم كان كابوسي ؟

شـــيـــرشـــي : ماذا ؟

أولـــيـــس : أنني أغرق في نسيان هذا الحليب ذي الرائحة الفائحة .

«ينتزع الملاءة» .

شـــيـــرشـــي : تغرق ؟ أولم يلطّف حفيف الملاءة أذنيك ؟

أولــــيــــس : بل حُملت بعيداً عن شاطئي
على وسادات من الزبد المزركش .
«يمزق الوسادة وينكشها» .
شــيــرشــي : فاذهب إلى بيتك إذاً .
أولــــيــــس : «ينبح» ياب . ياب . وألعق قدميك مثل كلب .
شــيــرشــي : انتهيت ؟
أولــــيــــس : وأنت تفرقعين أصابعك : «تعال حين أقول تعال!»
شــيــرشــي : ولكنني أحببتك يا أليفي .
أولــــيــــس : حسن . فكي رسن كلبك .

المشهد الثالث عشر

«باحة . طبالون . راقصو الشانغو . بالملابس البيضاء ومعهم الشموع . ديك أضحية معلق من رقبته . فيما دائرة من الحكك يرسمها الكهنة على الأرض . أوليس بلباس أميرال بحري تحت معطفه . يقدمون له صولجاناً وسيفاً خشبياً . شيرشي تقوده إلى مركز الدائرة» .

المحتفلون : «يغنون»

شانغو

زيوس

الذي يرانا

رجل يذهب

واسمه أوليس

ينزل

ينزل

أوغون

إرزولي

ينزل إلى الجحيم

يرش الماء

إرزولي
أثينا
أم الماء والمطر
ابنة النهر
شانغو
زيوس
وكل من يروننا .

شيرشي : سيفك الصامت لن يقسم الهواء فقط .
كاهن شانغو : هو لفصل عالم الضوء هذا عن العالم الذي تجاوز المعرفة .
شيرشي : حيث بيرسيفون الدفون يشع نصف العام .
كاهن شانغو : إلى أن تتفتح خوذ الزغفران الذهبي مع الربيع .
شيرشي : مثلما يفصل حد هذا السيف العالم عن العالم السفلي .
كاهن ٢ : وهكذا يفصل خط الشعرة في نَفَس واحد الجسد عن الروح .
شيرشي : أيها العالم المقسوم بالنسيان إلى نصفين ، وبسيف الزمن الدقيق .
كاهن ٢ : فيما العالمان يتوق كل منهما إلى جعل الآخر كاملاً .
شيرشي : إذهب حيث لا يدخل إلا المختارون من قبل الآلهة .
كاهن ٢ : في هذا التصدع في الأرض ذات القلب المحطم ،
من هنا ستنزل .
شيرشي : أبلغ أثينا ذات العينين الخضراوين
أنني لن أسيء إليها أبداً .
أوليس : وبحارتي ؟
شيرشي : استُعيدوا . وحياتنا تنتهي في ريح سوداء .
« يتم ربط عيني أوليس بقماشة سوداء » .

كـــاهـــن ١ : تحفر خندقاً بهذا الطول .

«يمد ذراعه» .

شـــيــرشـــي : يجب أن تجرح الأرض .

أولـــيـــس : بماذا ؟

شـــيــرشـــي : بهذا السيف . وستنفتح .

وهناك ستكون امرأة واقفة .

أولـــيـــس : من ؟

شـــيــرشـــي : شبح على منصة . صوت حديدي .

«صوت باب هائل ينفتح» .

كـــاهـــن ١ : معدة الأرض .

شـــيــرشـــي : شبح مترمل . أمك الميتة .

أولـــيـــس : «يبكي»

أيتها الخنزيرة .

«يقذف بالسيف الخشبي» .

شـــيــرشـــي : لكي تراها يجب أن تدخل هذه الحجر المقسومة .

أولـــيـــس : ولم هذه الرؤية المحطمة للقلب ؟

لم لا تكون رؤية أخرى ؟

شـــيــرشـــي : محطة . أقواس ذات أصداء . وهي وحدها .

«أوليس يرسم حرف (L) على الأرض . ينسحب المحتفلون وشيرشي . الأرض تنفتح» .

المشهد الرابع عشر

«تحت الأرض . أوليس يزيل أربطته . يدخل من الباب الدوار . آلة ذات مرآة . وراءه امرأة بسترة وقبعة ووشاح : إنها أمه ، أنتيكليا» .

أنتيكليا : هل هناك تأخير ؟ هذه الأيام صاروا يتأخرون .

أوليس : ألم تعرفيني ؟

أنتيكليا : من أنت ؟

أوليس : أنا ابنك يا ماما .

أنتيكليا : أوليس ؟ أأنت واحد من شحنتنا التي بلا أجساد ؟

أوليس : لا . أنا لم أمت . مع أنني أصلي لكي أموت سريعاً .

أنتيكليا : ليس أحدها أسوأ من الآخر .

أوليس : حين أنظر في مرآة...

أنتيكليا : نعم ؟

أوليس : أرى جلداً يتجعد عند عنقي الآن مثل جلدك .

أنتيكليا : حين أنظر في مرآة لا يكون هناك شيء لأراه .

أوليس : ليس الـ«أنت» الذي أجده فيّ طوال تلك السنين ؟

أنتيكليا : أهكذا أبتسم أنا ؟ هل أهز ذقني هكذا ؟

أوليس : كل مرآة تردد صداه . أقصد تأنقك .

أنتيكليا : وهذا أيضاً ؟ «يا ولد . سأضربك بقوة» .
«تتظاهر أنها ستضربه وهي تبتسم» .
أوليس : دموعي تضاعفك وكأنها مواشير .
«يبكي» .
لم أنت وحيدة هنا ؟ ولم تنتظرين ؟
أنتيكليا : هذه محطتي . تحت مجرى النهر .
أوليس : وكم محطة غيرها تحت الأرض ؟
أنتيكليا : إنك لا تنجو أبداً . فالقطار مستمر إلى الأبد .
«بيلي بلو بصفة متشرد أعمى مع غيتاره وأدواته وعصاه . يتوقف ويمد يده» .
بيلي بلو : قطعتان نقديتان لهاتين العينين المبيضتين يا سيدي وأنا سأبصّر لك .
أوليس : أنت تعيش هنا ؟
بيلي بلو : صحح . بل أنام معظم لياليّ تحت الجسر .
أوليس : مشرد بلا بيت ؟
بيلي بلو : ليس أكثر منك يا سيدي ؟
هذا بقدر ما أستطيع أن أرى .
أوليس : وكم يدوم هذا ؟
بيلي بلو : إلى المستقبل .
أوليس : أشك .
بيلي بلو : «يهز كتفيه» . ميزتك .
أوليس : ليس معي نقود . لقد حطمني الزمن وبثمن غال .
بيلي بلو : نعم . ولكن كلمة «بيت» تدوّم في كهوف أذنيك .
أوليس : أضاف الحزن لقسمتي الأم التي فقدتها .

أنتيكليا : يكفي أن تعطيه قطعة نقدية واحدة .
إنه يسرع بنبوءاته .
«قطار يومض ماراً بسرعة . أوليس يدفع لبيلي بلو . يدخل تيريزياس» .
أوليس : لقد زعق رفاقي في النوافذ من وراء الزجاج .
تيريزياس : صحيح . أسمعت ما كانوا يقولون ؟
أوليس : لا . لم أسمع أي صوت .
تيريزياس : إنهم الأفواه الفاغرة من بحارتك . وسيمر المزيد منهم .
أوليس : ومتى يتوقفون ؟
تيريزياس : في محطتهم . حيث ارتكبوا خطاياهم .
«يظهر إلبينور على الرصيف المقابل ببذلة ضابط صف البحرية . ومعه حقيبة ورأسه مربوط» .
أوليس : هناك . على الطرف الآخر . ما هؤلاء ؟
تيريزياس : سكك .
أوليس : سأتحدث إليه .
إلبينور : لم أستطع تحمل مواجهتك . آسف يا قبطان .
أوليس : يا ولدي العزيز . يا ابني الآخر . أنا لم أصل إلى بيتي بعد .
تيريزياس : إنتظر . إنه على الرصيف الآخر . وليس دورك .
إلبينور : لقد سكرت . فسقطت . شفرات الرقّاص .
أوليس : إلبينور . إنك تسبقني . ولكنني سألحق بك .
إلبينور : لا . لا . لا يا سيدي . ليس بعد . وسامحني على خطأ السكر .
«يصل قطار . إلبينور يتجه إليه مسرعاً ودون أن يلتفت» .
أوليس : يومها أفلت جسده منا مثل مجداف .

تيريزياس : بأبجدية الأرواح من أجاكس إلى زيوس* .

أوليس : وهذه (الأو) لا تعني شيئاً فهي أوليس .

أنتيكليا : لا . بيتك ينتظرك خلف البحار ذات الأكتاف المزبدة .

تيريزياس : إجعلها قطعتين نقديتين . عينان من أجل مصير الآخرين .

«أوليس يدفع له . تيريزياس يمر» .

أوليس : تيريزياس ؟

تيريزياس : نعم . وسيفه الذي لا فائدة منه على إحدى كتفيه .

أوليس : ألم يجد السلام ؟

تيريزياس : كثيراً . كان بيته الحقيقي هو الحرب .

أوليس : سيصل من الملل إلى زوجته ويسقط عليها .

«يمر أجاكس جانباً . مقنع بخوذة ذات واقية للوجه . تيريزياس يخرج» .

أوليس : «يصرخ»
أجاكس !

تيريزياس : لن يلتفت أو يرفع الواقية عن عينيه .

أوليس : بل سيفعل . من أجلي .

تيريزياس : عيناه تحرقان ما تسقطان عليه .

أوليس : أيها القلب الكبير . أما زلت غاضباً لخسارتك تلك الجائزة ؟

«أجاكس يتوقف . يلتفت . يرفع عن عينيه» .

تيريزياس : هاك .

أوليس : ترس آخيل! لقد غرق .

«يلتفت أجاكس ويتابع» .

---

* كلمة زيوس تبدأ بحرف Z .والمقصود من الألف إلى الياء . وأوليس تبدأ بحرف O .

أهذا ما يشعر به ؟

« أجاكس يخرج » .

تيـريـزيـاس : حتى في الجحيم يتجاهل الأرواح الأقل مرتبة .

أولـــيـــس : وهو يمشي دائماً وكأن الأرض روث تحت قدميه .

« يعبر أغاممنون في شبكة وهو ينزف » .

أولـــيـــس : هذا ؟

تيـريـزيـاس : متربعاً على رابيته ، يندب آخيل .

أولـــيـــس : أغاممنون ؟

تيـريـزيـاس : مصيره كان الأكثر مأساوية بينهم جميعاً .

أولـــيـــس : يا إلهي . أنظر إليه كيف يتلوى في شبكة!

مطعون . سمكة قرش معلقة .

أنـتـيـكـلـيـا : زوجته فعلت به ذلك . أترى كيف يقاتل ؟

تيـريـزيـاس : الرؤى تعميه . يفضل أن يتلمس دربه في الظلام .

« أغاممنون يخرج » .

أنـتـيـكـلـيـا : للأرض أفراحها مع أن هذه الأفراح كلها فوقنا .

« آخيل يمر راكضاً وعلى رأسه خوذة وهو محاط بالضوء » .

تيـريـزيـاس : آخيل . يقفز بخفة في حقول البروق .

أنـتـيـكـلـيـا : سعيد لأن ابنه تجاوز ، وهو حي ، انتصارات الحرب .

تيـريـزيـاس : مثل أيّل في الربيع . يرفس ليبعد الزهور عن أقدامه .

أولـــيـــس : أب محظوظ .

« آخيل يخرج » .

أنـتـيـكـلـيـا : لا تلوموا طروادة على زوجة واحدة متقلبة الأهواء .

تيـريـزيـاس : كانت سببها لا جذرها . أنت تحت حقل .

أنـتـيـكـلـيـا : حيث يتجول الزمن بمنجله الذي لا يعرف الندم .

تيريزياس : القبور المعشبة لأجيال ، جعبته ملأى .

أنتيكليا : لكونه البستاني المصمم .

تيريزياس : بأكياس رمادية من الخوذ ، وسرخس مجفف من المحاربين .

أنتيكليا : نوزيكاس ذو العين الوردية وتيريزياس ذو الشعر المنتصب .

تيريزياس : وهو يجوب بين أوراق الشجر التي أبقاها الخريف بعد أوانها .

أنتيكليا : لقد أسقطني على الأرض ، شجرة ذات أغصان كسيحة .

أوليس : ألم يكن في وسعه الإبقاء على بضع أوراق إضافية لك ؟

أنتيكليا : لماذا ؟

تيريزياس : نحن لا نفهم غيظ الحياة هذا على أنه جواب .

أوليس : الأسئلة جزء من طبيعتنا .

أنتيكليا : فلتنته إذاً بشكل طبيعي .

تيريزياس : أنظر إلى حبال الجذور المتشابكة فوقك .

أنتيكليا : عبر هذا الصدع من ضوء الشمس المتروك من خلال القذارة المتسربة .

تيريزياس : هيكل ، كل حزنه الشديد لأنه يحبك حباً أعمى .

أنتيكليا : من الفجر وحتى حركة القمر البيضاء . أما تزال تشك ؟

«تتدلى الجذور . ثم عمود من الضوء » .

تيريزياس : لا . هناك عبر هذه الجذور التي تسمح بدخول ضوء الأرض .

أوليس : امرأة تنشج وحيدة تحت أشجار الزيتون .

تيريزياس : إنتظر إلى أن تنزاح الأوراق .

أولـــيـــس : لا أستطيع أن أرى بوضوح .
تـيـريـزيـاس : والآن ؟
أولـــيـــس : آه .
تـيـريـزيـاس : زوجتك .
أولـــيـــس : كل دمعة تضرب صدري مثل حجر .
أنـتـيـكـلـيـا : ابن...
أولـــيـــس : كم بحراً قبل أن ينزلق شراعي عن ساريته ؟
تـيـريـزيـاس : مزيداً من الجزر ، مزيداً من التجارب .
أولـــيـــس : ومزيداً من السنين . أمازلت رجلها ؟
أنـتـيـكـلـيـا : ما من صخرة على شواطئك كلها أكثر صموداً منها .
أولـــيـــس : على الرغم من أن الغياب الطويل يبررلها الطلاق ؟
أنـتـيـكـلـيـا : مثل صخرة زفافية تحجب نفسها وتكشف حجابها .
تـيـريـزيـاس : وما تـزال محاصرة بأولـئك الـخاطبين الـمعربدين مثل حصار طروادة .
أنـتـيـكـلـيـا : إنها مزهرية نادرة ، بعيدة عن منال الهر ، على رفها .
تـيـريـزيـاس : ذات يوم قد يتمكن من خدشها ببراثنه القافزة . أنتينوس .
أنـتـيـكـلـيـا : تفضل أن تطوح بنفسها من علٍ وتتبعثر إرباً .
أولـــيـــس : والآخرون ؟ تيليماكوس ؟ ومربيتي العجوز ؟
أنـتـيـكـلـيـا : إحرث أخاديد البحر للوصول إليهم يا أوليس .
تـيـريـزيـاس : وأنـت ستجلس عـلى مـقـعـدك وأوراق الأشجار حولـك مثل البحر .
أنـتـيـكـلـيـا : تحت هيبة السنديانة الضخمة .
تـيـريـزيـاس : فتوزع العدل هناك وتكافئ الإخلاص .
أنـتـيـكـلـيـا : إلى أن يعتم البحر البراق قوس نهاية حياتك .

«تغيم أنتيكليا» .

تـيـريـزيـاس : الشيخوخة ستزحف عبر جسدك مثل زحف البحر الشائب .

أولـــيـــس : أريد أن أموت ، لكي أمسك بك مرة أخرى يا أمي .

أنـتـيـكـلـيـا : بورك القلب الذي تتقاذفه العواصف وينتهي بسكينة .

تـيـريـزيـاس : نَفَس واحد يفصلك عنها ، هذه التي هي هنا الآن .

أنـتـيـكـلـيـا : سأغيم الآن مثل ورقة سنديان في حديقتك .

تـيـريـزيـاس : مقعد حجري بين السنديان يرقب زبد حواجزك .

أنـتـيـكـلـيـا : بوزيدون عديم الشفقة سيمنحك عفوه .

أولـــيـــس : لقد رأى إلبينور هذا كله عبر صدع في العاصفة .

«تمر القطارات لامعة . رعد . البحر» .

الفصل الثاني

المشهد الأول

«ظهيرة . طوافة . أوليس ، بأسمال ، وقد أحرقته الشمس ، يغني» .

أولـــيـــس : فلتُحُك حكايته . إنه البحار الجريء .
ملك الزبد الفوار . سفعته الشمس .
واصطكت عظامه من البرد . ولكن الطريق طويل طويل ـ
غنوا أغنيته ، اغنية عن الطريق الطويل الطويل من...
يتوقف . يستجمع قوته ليستطيع نطق الكلمة» .
البيت .
«صف من الزعانف يمر بالطوافة . صرير» .
الدلافين .
«يغني»
فلتحك حكايته ، إنه البحار الجريء...
«تقفز سمكة إلى الطوافة . أوليس يزحف ويمسك بها . سمكة أخرى . يلف الاثنتين بعناية بقميصه» .
سفعته الشمس...
«من ورائه تصعد حورية بشعر مبلول . يترنح أوليس . يلتفت . حورية أخرى مشابهة تظهر . يكلمهما» .

آسف . إعملا معي معروفاً . عودا من حيث أتيتما .

حـــوريـــة ١ : «وهي تجفف شعرها» . لماذا ؟

حـــوريـــة ٢ : نعم ، لماذا ؟

أولـــيـــس : لكي أعرف أن الحر لم يشقق رأسي .

حـــوريـــة ١ : «مهتمة بشعرها» . مشربك . من العشب .

حـــوريـــة ٢ : «تساعدها» أتريد أن تقول إنه غير مرحب بنا ؟

أولـــيـــس : لقد أكلت الكثير من السمك النيء . هذه هي المسألة .

حـــوريـــة ١ : نحن جميلتان .

أولـــيـــس : جميلتان جداً . ولكنكما سمكتان ناطقتان .

حـــوريـــة ٢ : نعم . أنت اصطدتنا . يا حبيب .

أولـــيـــس : لا . أنا لم أفعل .

حـــوريـــة ١ : لا . نحن قفزنا على الطوافة .

حـــوريـــة ٢ : لأننا أشفقنا عليك يا أوليس .

حـــوريـــة ١ : ألم يسبق لك أن حلمت بفتاتين معاً في فراش واحد ؟

أولـــيـــس : سمكتان ؟ ألن تقولي إن المشكلة ستكون تقنية ؟

حـــوريـــة ١ : هناك أساليب .

حـــوريـــة ٢ : ووسائل . أنت تعرف مثل تنظيف الحراشف .

حـــوريـــة ١ : ومداعبة النهود اللامعة المبللة ؟ سهلة .

حـــوريـــة ٢ : سمكات تتزاوج مع رجال . إسمع .

نحن لسنا مجرد حكايات زوجات سمكيات عجائز!

حـــوريـــة ١ : كانت ماما دلفينة . وبابا جاء من نيقوسيا .

حـــوريـــة ٢ : أتلاحظين كيف تحول عبوسه إلى مرساة ؟

«أوليس يخرج سمكة من قميصه» .

أولـــيـــس : أنتما عائدتان إلى بيتيكما .

الحوريتان : لا نريد أن نتركك .

أوليس : مكافحة الجنون بالجنون هو العلاج الوحيد .

«يلقي بإحدى السمكتين بعيداً . تصرخ الحورية الأولى وتقفز غاطسة» .

حورية ٢ : تابع . قل للناس إنك قد رأيتنا . من سيصدقك ؟

«أوليس يمسك بالسمكة الثانية . الحورية الثانية تحوم على الطوافة وهي تزلق . يلقي بها . صمت . يتطلع أوليس إلى الماء» .

أوليس : فلتُحك حكاياته . إنه بحار عجوز .

ورأسه يبيضّ مثل الزبد .

سفعته الشمس . واصطك من البرد .

وطويل ـ غنوا الأغنية ـ

وطريق طويل طويل من...

«يبكي»

البيت .

«تتوقف الطوافة . ضباب خفيف . بحارة غرقى من بحارته يصعدون» .

ستافروس : أتتذكرنا يا قبطان ؟ لقد أبحرنا معك ذات يوم .

كوستا : نحن روّضنا الرياح .

ستافروس : ستافروس يا سيدي من الجبال .

ستراتيس : نزلنا هناك مشردين دون بيوت .

تاسو : ونحن ننهض ندماً .

كوستا : حين جرف الموج إلبينور... ؟

أوليس : الضباب شوش ذهني .

« يشتغلون » .

ستراتيس : جئنا نساعدك على عبور الصخور ذات الأنياب الحقيرة .

تاسو : أسبق لك أن سمعت عن السيرينات يا قبطان ؟ حيزبونان عجوزان .

ستراتيس : إنها تجثمان هناك في الحقل الأصفر . بشاعة حقيقية .

تاسو : أتعرف ماذا يوقدن ؟ الهياكل العظمية للبحارة .

ستافروس : مثل خشب طاف مصنوع من العظام .

أوليس : أوصلت إلى هذا الحد البعيد يا ستافروس ؟

تاسو : حنكاهما مثل جزدانين فارغين . ولكن منهما أغنيات...

ستافروس : تستمع إليها يا قبطان فتغرق . لا تكن فضولياً .

كوستا : يتعرضنا لتقلبات التيارات المختلفة
أصبنا بالحنين إلى البيت بسبب أخطائنا .

أوليس : يا للأرواح المسكينة...

ستراتيس : مر من فوقنا شبح طوافتك .

ستافروس : سمعت رجلاً يغني فقلت : القبطان أوليس ؟

كوستا : وأنا قلت لستافروس : أهذا صوت القبطان أوليس ؟

ستراتيس : قلت : لماذا لم يصل هذا الرجل إلى بيته بعد هذه السنين كلها ؟

تاسو : «وهو يقف على الطوافة» هذا الخشب بدأ يتعفن .

كوستا : يا قبطان . هذه الطوافة ليست جيدة .

ستافروس : وهذا السطل فيه من الثقوب ما يجعله يبدو كالجبنة . عيب يا قبطان .

كوستا : «وأذنه على الطوافة»
هناك جوقة من ديدان البحر تغني في هذا الخشب .

أولــيــس : لم تفعلون ذلك ؟
ستــراتــيــس : لكي نبحث لك عن بيت . اللعنة على هذه العلبة التنكية .
« يقذف بعلبة » .
صعوداً إلى تلك الصخور التي تخطف النوارس .
والتي يجعلها الرذاذ تبدو مثل الإسفنج .
تــاســو : إنهما تتسلقان مخلباً بعد الآخر فوق حرب الموج .
كــوســتــا : لكي تستقرا مع أغنيتهما . وبعد ذلك ومن شدقيهما...
ستــراتــيــس : تخرج الموسيقى يا قبطان . فتحطم قلبك بالمتعة .
كــوســتــا : أترى هذا القطيع من التلال القادمة مثل الثيران ؟
تــاســو : وهذه الأمواج المتغيرة ، قطيع بوزيدون ؟
كــوســتــا : أنظرا إنهما تتسلقان الصخور لتوجيه أغنيتهما .
ستــراتــيــس : وهي تفتح ثغرة في قلبك الممزق . وبعدها تغرق .
« تبدأ الموسيقى » .
أولــيــس : قيدوني إلى السارية . وضعوا الشمع في آذانكم . أسرعوا .
ستــراتــيــس : أنا أبكي مثل الثلج الذائب في الأنهار .
كــوســتــا : سيدي . ستنسى أحباءك في هذه الموسيقى .
ستــراتــيــس : لا تستمع كما استمعنا . يا سيدي . لا تكن فضولياً .
أولــيــس : إفركوا شمع النحل حتى يسخن واحشوه في آذانكم .
« ستراتيس يعثر على الشمع » .
كــوســتــا : لا تفعل ذلك يا قبطان . يجب أن تستمع إلينا .
« يقيدون أوليس إلى السارية » .
أولــيــس : قيدوني . وإذا صرخت بكم تجاهلوا أوامري .
كــوســتــا : إنه يسمع .
تــاســو : إنه يصرخ بشيء ما .

ستراتيس : أنتم طرشان . جدفوا بهمة .

كوستا : وجهوا بعيداً عن المياه الضحلة . إنها تسحبنا كالحبال .

« أوليس يصرخ دون صوت » .

ستراتيس : يستطيع أن يستمر في الصراخ إلى أن تدمى رئتاه . ولكنكم لم تسمعوه .

كوستا : ماذا ؟

ستافروس : « باكياً » مزمار راع يشق منحدرات الجبال الزرقاء .

أوليس : دعوني أذهب إليهما . أيها السفلة .

أرجوكم . أتوسل إليكم . ألا تسمعونني ؟

ستراتيس : تابعوا التجديف . عليكم اللعنة . إننا نعبر وسط أغنيتهما .

كوستا : لن يطول بنا التجديف يا قبطان . سرعان ما سنتخلص .

أوليس : إلتفوا . أنزلوني هناك . فأنا أنتمي إلى هناك .

« يمرون . أوليس الذي مايزال مقيداً يرخي برأسه وهو ينشج . ستافروس ينتعش » .

ستراتيس : « وهو يزيل الشمع بعناية »

خرجنا من المجال ياقبطان . أمازلت تسمعها ؟

أوليس : لا .

ستراتيس : لقد سمعتها وظللت حياً . وهذا ما لن يحدث لأحد مرة أخرى .

أولـــيـــس : آه يا ستـراتيس . أحسست بمتعة هائلة . ما من روح تستطيع تحملها .

ستـراتـيـس : أعرف . أغنيتهما دخان يُعزف كمزمار من جبل .

أولـــيـــس : وبعدها ، يا كوستا ، أي موسيقى ليست إلا ضجيجاً .

كـــوســتـــا : إنها تتلاشى من أذنيك . مثل المحارة التي تفقد صوت البحر .

أولـــيـــس : عبر أستار أغنيتهما رأيت عينيّ الحبيبتين .

كـــوســتـــا : كل ما أحببته أو حاربت من أجله كان في تلك الغبطة .

أولـــيـــس : كيف أستطيع أن أسدد لكم أيها الأشباح مقابل جهد كم معي ؟

ستـراتـيـس : هذا لم ينته . مازال هناك سكيلا وكاريبديس .

أولـــيـــس : أين ؟

ستـراتـيـس : « يشير » هذه الجروف المعتمة المنقسمة . حيث تغلي القنال ؟

كـــوســتـــا : هذا هو الطريق الوحيد الذي يأخذك إلى بيتك يا قبطان . لا خيار أمامك .

ستـراتـيـس : هذه ليست مجرد حكايات بحارة تحوم حول حطام السفن .

كـــوســتـــا : حيث هذه الصخور الجرفية تجيب أصداء رعد وهمي .

ستـراتـيـس : سكيلا ملتهمة الدلافين ذات الأعناق الست المجعدة .

كـــوســتـــا : وكاريبديس المتغرغر الذي يمتص السفن .

* * *

«ليل . غيوم كثيفة عابرة . ظلال على الشراع . البحارة يراقبون .
أوليس ينطوي على نفسه . إلى جانبهم سكيلا وكاريبديس .
يوريكليا تهز سريراً . هي وبيلي بلو يغنيان بالتناوب» .

يـوريـكـلـيـا : نم يا صغيري نم . لا تخف من الأغوال .
وأنا آخذ سريرك الصغير إلى بحار الأحلام .

أغمض عينيك بالأغنيات التي أغنيها يا أوليس الصغير .
وانظر كيف ترمي شجرة السماء أزهارها كلها .
« يهوي نجم » .

بـيـلـي بـلـو : « يغني » أحياناً تقترب الغيوم ببطء من نجوم البحر المتأرجحة .
وحركتها تصنع غيلاناً يكبرون حسب الرغبة .

يـوريـكـلـيـا : « تغني » وهكذا ، والطفل مرتاح في مهده ،
يرى ما ينمو من ظله أشكالاً على جدار غرفته .
« أوليس ينكمش على نفسه منتحباً » .

بـيـلـي بـلـو : « يغني » يرغي الشك في الأشكال المعتمة متغذياً على الفوسفور
والأمواج تصوت مثل أحناك تعلك الليل .
أحياناً تتحول الوجوه الودودة إلى رعب شيطاني .
سكيلا تحوم من جهة وكاريبديس عن يمينه .
« في ضوء القمر يتحول البحارة إلى غول ذي ستة رؤوس ينهض
مثل غيمة متغيرة الشكل » .
حيناً يقوقي مثل الكركن* في مرجلها المزبد
ورؤوسها الستة تبحث عن وجبة بحرية من الرجال...
الأحناك الجبارة تطحن مثل بوابات الحديد المتثائب .

يـوريـكـلـيـا : « تغني » أهذه الغيلان كلها من خيالات طفل ؟
« الرؤوس الستة تقترب من أوليس » .

بـيـلـي بـلـو : « يغني » أم من جنون بحار مستوحش منذ زمن طويل ؟
« أوليس يزعق . يقلبون الطوافة » .

* وحش بحري خرافي اسكنديناڤي .

المشهد الثاني

«راع على صخرة يرقب البحارة وهم يحملون أوليس إلى الشاطئ مع أكياسه . ناوسيكا تنتظر متلفعة بقفطان . أوليس مستغرق في النوم» .

ناوسيكا : رأسه يتأرجح مثل عشبة بحرية أنهكتها الحركة .

بحار ١ : لم يسبق لي أن رأيت من يغط في نوم عميق كهذا .

ناوسيكا : ضعوه في الترس مثل سلحفاة . عبئوه بالرمل .

بحار ١ : حسن يا آنسة .

«ناوسيكا تقبل أوليس» .

ناوسيكا : ها أنت أخيراً في بيتك . يا آخر ملوك طروادة المتعبين .

«تخرج هي والبحارة» .

* * *

«إيثاكا . الشروق» .

أوليس : أيها الراعي . كيف صرتُ هنا ؟

الراعي : هدهدوك في محارة لكي ترتاح على الشاطئ .

أوليس : كانت هناك جزيرة . وفتاة . وحكيت لهم قصصاً .

الراعي : ثم نمت أسبوعاً كاملاً .

«صمت» .

أولـــيـــس : نصيبي . الترس . ضاع .

الـــراعـــي : لا . لقد دفنوه في الرمل الجائ، في هذا الكهف .

أولـــيـــس : وهل تماص الغواصون من أجله ؟ أأنا نائم ؟

الـــراعـــي : بل أنت في أتم يقظة .

أولـــيـــس : مخالب البحر . سوف تنتزعه .

الـــراعـــي : إنه في أمان .

أولـــيـــس : إنك تكذب .

«الراعي يهز رأسه» .

أولـــيـــس : نصيبي ضاع . ثروتي ضاعت .
ولهذا أنت تبتسم .

الـــراعـــي : إذهب وانظر بنفسك .

أولـــيـــس : أخاف أن أفعل .
لقد آذاه البحر .

الـــراعـــي : الملح يفعل فعله .
أتتوقعه براقاً ومشعاً ؟

أولـــيـــس : إسمع . لدي مملكة علي أن أديرها حين أرجع إلى بيتي .

الـــراعـــي : صحيح .

أولـــيـــس : أنا لست مثل الآخرين . أنا ملك صغير .

«يبحث عن أغراضه ، يجدها» .

الـــراعـــي : ملك على هذه الصخرة الشبيهة بقرص العسل
التي هي مملكتك الصغيرة .

أولـــيـــس : أين ؟

الـــراعـــي : الرمل الذي تحت قدميك المتشققتين .

أولـــيـــس : أمر مضحك .

«ينفض الغبار والرمل عن أغراضه» .

الراعي : لقد نمت أسبوعاً كاملاً وأنت مشدود كجوزة في قشرتها .

أوليس : كانت هناك فتاة . وملك كريم... ألسينوس .

«يرفع الترس» أنظر إلى هذا .

الراعي : ما به ؟

أوليس : «يضحك» . ظهر السلحفاة وجد سلحفاته .

الراعي : أتستطيع أن تسمع أصواتاً كريستالية صافية ومنعشة ؟

أوليس : أسمع ريحاً مثل موج يؤرجح أشرعة من الحور .

الراعي : هذه صخرة الغراب .قرب نبع أريتوسا .

أوليس : وهذه الحورات في جبل نيريتون كما أظن .

الراعي : بأية لغة يتحدث النبع والحور ؟ أتستطيع أن تخمن ؟

أوليس : من قرقعة الأحرف الساكنة... (لغة) إيثاكية .

الراعي : ولماذا يجب أن يتحدثا بلغتك ؟

إنهما ورقة خضراء وحرف صوتي صاف .

أوليس : ألنا في إيثاكا ؟ أوقد عدت إلى بيتي ؟

الراعي : إيك أيها الرجل المتعب .

«أوليس يبكي» .

أوليس : لماذا يضج رأسي بهمهمة البحر منذ عشر سنين ؟

الراعي : إسأل نفسك . ما الذي كان يزعق به مالك الحزين طوال عشر سنين ؟

أوليس : كل ما أعرفه هو أنني مريض من مرارة البحر .

الراعي : كانت الأمواج بلا مأوى .

وكان مالك الحزين يحسدك على حلمك .

أوليس : دموعي هي الملح الذي يبلل هذه الأشجار المترنحة .

الــــراعــــي : إلتفت . بماذا يتنهد الصدع الصخري الأجش لأمواجك ؟
أصوات الموج : بولوميكانوس . بولوتلاس . بوليميتيس . أوليس .
بولوميكانوس . بولوتلاس . بوليميتيس . أوليس .
الــــراعــــي : هذا أنت يا رجل المراوغة . أيها الرجل البارع في الكذب .
«عصافير تزقزق» .
أولــــيــــس : السنونو يزقزق .
الــــراعــــي لكي يجعلك أصم بالغبطة .
أولــــيــــس : أنا لا أحد .
الــــراعــــي : تحول إلى اللاأحد الذي كنته .
أولــــيــــس : أنت لست راعياً . أأنت راع ؟ أنت أثينا يا ولد .
الــــراعــــي : لطخ وجهك بالرمل وتصرف كشحاذ .
أولــــيــــس : لماذا ؟
الــــراعــــي : لكي تنقذ بيتك وثروتك . أسرع .
«نباح كلاب بعيد . ثم يقترب» .
العجوز شخص طيب . ولكنه ثرثار قليلاً .
أولــــيــــس : أي عجوز ؟
الــــراعــــي : ألا تسمع كلابه تنبح ؟ إنه يرعى خنازيرك .
أولــــيــــس : إيومايوس . ياالإيومايوس المسكين . أما يزال حياً ؟
الــــراعــــي : لن يكون كذلك إذا لم تتصرف لإنقاذ الزوجة والابن .
«يخرج . يدخل إيومايوس» .
إيــومــايــوس : ها . إرجع يا ماش .
«يرمي بالحجارة . الكلاب تهرب مبتعدة» .
لحسن حظك لم تمزقك (الكلاب) إرباً .
أولــــيــــس : يا صديقي...

إيـومـايـوس : تمزقك حتى العظم وكما تمزق الأسنان كردوشاً .

أولــــيـــــس : وليس عليّ الكثير (من اللحم) زيادة على العظم .

«يجمع أشياءه ، ويغطي رأسه» .

إيـومـايـوس : أوليس . سيدي . أمامه فقط اعتادت الكلاب أن تتوقف .

أولــــيـــــس : أتظن أنها ستمطر ؟

إيـومـايـوس : هكذا يبدأ المطر . برذاذ .

أولــــيـــــس : ما العمل الذي تقوم به يا سيدي ؟

إيـومـايـوس : أرعى الكلاب . واسمي إيومايوس .

«تعتم السماء . مطر» .

أولــــيـــــس : هذه الغيوم تتهيأ لعاصفة . فليكن الإله مع كل شراع .

إيـومـايـوس : أتعرف بئر البحر ؟

أولــــيـــــس : أعرفه فقط ؟ عانيت منه . طوال عشر سنين .

إيـومـايـوس : تبدو مثل سلحفاة . وأنت تطل من هذا الترس .

أولــــيـــــس : صديق ساخر قال ذلك . قبل عشر سنوات .

إيـومـايـوس : أين موطنك ؟

أولــــيـــــس : موطني ؟ كريت . كريت .

إيـومـايـوس : وماذا في الكيس ؟

أولــــيـــــس : ألا تستطيع أن تخمن ؟

إيـومـايـوس : تبدو مثل أغراض السمكري .

أولــــيـــــس : «يضحك» . معك حق . حبال وخرداوات . أنت تعرف .

«يتوقفان» .

إيـومـايـوس : أنظر إلى هاتين البركتين اللتين تشبهان ترسين تحت الشمس .

أولــــيـــــس : وتعكسان الغيوم والأخيلة وعذاباتنا العابرة .

إيـومـايـوس : صحيح . خيالاتنا تمر فوقها ثم نعبر نحن .
أولـــيـــس : الأرض ما تزال تتأرجح .
« يتحركان » .
إيـومـايـوس : ها نحن وصلنا . هنا كوخي .
« يفتح الباب » .
أولـــيـــس : وأين أستطيع أن أضع أغراضي بحيث تكون في مأمن ؟
إيـومـايـوس : إسمع . أنا لا أستطيع أن أحرسها .
لدي الكثير مما يجب أن أهتم به .
أولـــيـــس : ما رأيك لو وضعتها هنا في المؤخرة ؟
بعيداً عن الأمواج المؤذية .
إيـومـايـوس : أحب الليالي القاسية الممطرة .
أعيش فيها مع ذكرياتي بين المطر والنار .
« من بعيد ضجيج الخاطبين الذين يتشاجرون » .
أولـــيـــس : ما هذا ؟
إيـومـايـوس : ليسوا كلاباً بل هم رجال .
يأكلون المشويات من الخنازير ذوات الأنياب البيضاء .
أولـــيـــس : ومن هم ؟
إيـومـايـوس : خاطبون .
أولـــيـــس : سأكتفي بالخبز والجبن .
إيـومـايـوس : هم ليسوا كذلك .
رضيعون يدورون حول الجمر المتوهج .
أولـــيـــس : لا أحس بالغيرة . فأنا جائع .
إيـومـايـوس : كم يبعد موطنك من هنا ؟
أولـــيـــس : بحار بيضاء .

إيـومـايـوس : لم يبق إلا ثلاثمئة وستون خنزيراً .
لن تكمل الشهر .
أولـــيــــس : ومنذ متى هذه الحفلة ؟
إيـومـايـوس : منذ ثلاث سنوات .
أولـــيــــس : لابد أنها تكلفك ثروة لتقديم ما يشبع هذه الأفواه كلها .
إيـومـايـوس : كلمة ثروة تخفف الموضوع .
بيتي هو بيتك .
أولـــيــــس : لا تضع نفسك خارج الموضوع .
إيـومـايـوس : لقد وُضعت خارجه وانتهى الأمر .
أولـــيــــس : يكفي الخبز والجبن وهذه النار . فأنا لست خاطباً .
إيـومـايـوس : سيديتي ستعاملك معاملة حسنة حتى لو لم تكن خاطباً .
أولـــيــــس : أوكنت ، ربما ، سأخطبها لو أنني أفتى بقليل ؟
إيـومـايـوس : لا . فلديها زوج . إن لم يكن قد مات .
أولـــيــــس : وكيف كان أوليسك سيعامل هؤلاء الخنازير إذاً ؟
إيـومـايـوس : يشوي قلوبهم على رمح . ويحمص أكبادهم .
أولـــيــــس : تبدو القلوب كثيرة .
إيـومـايـوس : كنا سنقطعها .
أولـــيــــس : نحن ؟
إيـومـايـوس : نحن طاردنا خنازير حقيقية
وهي تركض قرب الأنهار البيضاء .
«يقدم الطعام . ويراقب أوليس وهو يأكل» .
أولـــيــــس : هذا عظيم . منذ زمن طويل لم أذق لحم خنزير كهذا .
إيـومـايـوس : خنازيري تكبر مثل براميل الخمر
بسبب البلوط والينابيع ذات المياه العذبة .

أولـــيـــس : ولكنهم يأكلون خنازيرك بدل أن تأكلهم الخنازير .

إيـومـايـوس : «يضحك» . تذكرني به . كان يقول أشياء من هذا القبيل .

أولـــيـــس : العودة إلى المملكة المحطمة . للتوالد حول نار طروادة...

إيـومـايـوس : أوكنت في تلك الحرب ؟

أولـــيـــس : ورؤية شعر هيلين . نعم كنت فيها .

إيـومـايـوس : من أجل زوجة خائنة . ألم تقم تلك الحرب من أجل ذلك ؟

أولـــيـــس : بين أشياء أخرى . لقد غطى الدخان على أسبابها .

« صمت » .

إيـومـايـوس : كانت لدي زوجة ذات يوم .

أولـــيـــس : ما يزال المكان قابلاً للازدهار يا إيومايوس .

إيـومـايـوس : نعم . والغريب أنه في غيابها تظهر القبرات ويستمر العشب في النمو .

أولـــيـــس : رأيت ذلك بنفسي . إنه احتقار الطبيعة لخسائرنا .

إيـومـايـوس : الخنازير يتبسمون من جنب مثل براميل مليئة بالحبوب .

أولـــيـــس : بينما زوجته تتشوق إليه .

إيـومـايـوس : وابنهما تيليماكوس .

أولـــيـــس : أليس في القصر لحماية أمه ؟

إيـومـايـوس : لا . لقد هرب من حظيرة الخنازير هذه . ومن فوضاها المؤذية .

أولـــيـــس : ولكن ، يا إلهي ، كيف يمكن أن يفعل ذلك وهو يعرف بما يجري ؟

إيـومـايـوس : لأنهم كانوا يريدون قتله حين يبلغ أشده .

أولـــيـــس : الخاطبون ؟

إيـومـايـوس : وعلى أمه الآن أن تختار .

أولـــيـــس : الخنازير! ومن سيقتلهم هم ؟
إيـومـايـوس : ليس أنت . وماذا يساوي غضب متسول ؟
أولـــيـــس : ولكن أليس الولد سالماً ؟
إيـومـايـوس : في قصر مينيلاوس .
أولـــيـــس : أتظن أن الأمر ميؤوس منه ؟
إيـومـايـوس : ميؤوس منه .
أولـــيـــس : أولن يرث الولد ؟
إيـومـايـوس : لا . صقور البحر تحوم لاصطياد تيليماكوس .
أولـــيـــس : إصغ إلى الريح في الخارج يا إيومايوس . أتسمعها ؟
إيـومـايـوس : والنار تضطرم .
أولـــيـــس : مثل نار طروادة . يا للقضية البعيدة .
إيـومـايـوس : عاصفة برجال سود تجمح مع خيول طروادة الهائجة .
أولـــيـــس : وصارت أكثر هياجاً منذ الحرب .
إيـومـايـوس : يا إلهي أي رجل . لم يبق رجال .
أولـــيـــس : أوكنت تحبه ؟
إيـومـايـوس : رجل طبيعي . أوليس هذا .
أولـــيـــس : أعرف أنه يحبك .
إيـومـايـوس : أيام مرت . القمر على وشك الظهور .
أولـــيـــس : تنكمش المدن مثل الغيوم . بروج طروادة لم تعد موجودة .
إيـومـايـوس : نعم . أوراق العشب البري تزحف على سهولها .
أولـــيـــس : والخنافس تتسلق الحجارة التي في الدروع .
إيـومـايـوس : نعم .
أولـــيـــس : والجنادب تغني في الخوذ قبل المطر .

« رعد » .

إيوما يوس : مجاديف سفينة العاصفة .

كنت أحب المجاديف الطويلة والقتال .

أوليس : ولكنك ، مع ذلك ، تتحرك برشاقة بالنسبة لسنك .

ألا يمكننا قول ذلك ؟

إيوما يوس : بسيقان البلشون* ولكن مع الاحتفاظ بمنقاره ؟ البرق .

أوليس : وساقاي نحيلتان مثل قصبتين أيضاً .

إيوما يوس : المهم . كنا عظماء حين كانت أيامنا .

« يضحكان » .

أوليس : متى ستسوق القطيع مرة أخرى إلى القصر ؟

إيوما يوس : تعني متى آخذ الخنازير إلى الخنازير ؟ غداً .

أوليس : خذني معك .

إيوما يوس : لا . سيمزق قلبك هذا المكان .

أوليس : ومن سيلاحظ متسولاً آخر وسط ذلك الصخب كله ؟

إيوما يوس : فعلاً .

أوليس : أتؤمن بالآلهة ؟ بأثينا الساطعة ؟

إيوما يوس : في مثل عمري لا يتبقى لك الكثير زيادة على الإيمان .

أوليس : في تجاربي كلها كنت أحس بها . ولكنني لم أرها أبداً .

إيوما يوس : إنها تسكب الضباب في الوديان . وتجعل البحر يزبد .

أوليس : لقد فقدت كل إحساس بالمدن . أليس هذا محزناً ؟

إيوما يوس : هذه بلدة هضبية ملمومة . سترى حين نأخذ الطلب .

أوليس : لقد مررت فيها ذات يوم .

---

* طائر ذو ساقين طويلتين ودقيقتين .

إيـومـايـوس : والجدران مرشوقة بظلال الزيتون .

أولـــيـــس : فلنأمل أن تتذكر ظلي شوارعها المشمسة .

«يلف نفسه بالعباءة ويخرج . يتبعه إيومايوس» .

المشهد الثالث

« أوليس متكور حول نفسه ونائم . ريح قوية . بحر . شعاع من الضوء . ثم أثينا الساطعة . العاصفة تمر » .

أولـــيـــس : لقد أطلق صواعقه . زيوس العجوز . أبوك .

أثـــيـــنـــا : أوحَلَ الرمل البارد . أنظر في بركة قلبك .

أولـــيـــس : أفضل أن لا أفعل . سأضبّبه بغضبي .

أثـــيـــنـــا : الغضب ؟ ممن ؟

أولـــيـــس : أبوك المرعد .

أثـــيـــنـــا : أيها الأحمق .

أولـــيـــس : أرأيت ؟

أثـــيـــنـــا : هو الذي يرى . وبرقه الشائك يلتقط كل ذنب .

أولـــيـــس : كل ذنب ؟ لقد حاولت أن أظل حياً . هذا كل ما فعلته .

« صمت » .

لقد كنت إلهتي وابنتي في وقت واحد .

أثـــيـــنـــا : وأنت بالنسبة إليه مثل تيليماكوس . ابن . .

أولـــيـــس : أأنا المتسبب في تعاستي ؟

أثـــيـــنـــا : منذ طروادة . منذ...

أولـــيـــس : لا . أنتم الآلهة تظلون تتشاجرون كالأولاد المفسدين بالدلال .

أثـــيـــنـــا : أنظر . أيها الفاني . لقد وقفت إلى جانبك . على الرغم من خطاياك .

أولـــيـــس : أية خطايا ، يا أثينا المدوخة ، تميزني عن غيري من البشر ؟

أثـــيـــنـــا : لقد سخرت من الخالدين .

أولـــيـــس : أهذا كل ما تعنينه ؟

أثـــيـــنـــا : أنت أول من تساءل عن الإشعاع الدائم .

أولـــيـــس : ولدي سببي المبرر .

أثـــيـــنـــا : وأول من استهتر بكل النذر .

أولـــيـــس : في الليالي الهادئة في البحر رأيت الآلهة تتساقط .

أثـــيـــنـــا : أيها الفاني . لو كنت مكانك لبدأت اعترافي .

«صمت» .

أولـــيـــس : بحارتي المُجَنّنون ذبحوا ثيران الشمس .

أثـــيـــنـــا : لم تَحَوّل يونانيوك إلى تماثيل ؟ وسفينتك إلى حجر ؟

أولـــيـــس : حسن . لقد اقتلعت عين السكلوب ، ابن بوزيدون .

أثـــيـــنـــا : ولماذا التهم بحارتك ثيران إله الشمس ؟

أولـــيـــس : القمح والخمر الأحمر . حصلنا عليهما . ثم نفدا .

أثـــيـــنـــا : ذلك القطيع ذو القرون القيثارية كان غالياً على هيبريون .

أولـــيـــس : ولم على البشر أن يموتوا جوعاً
ولدى الآلهة كل ما يريد أن يأكله البشر ؟

أثـــيـــنـــا : «تضحك» . قد فعلت حسناً حتى الآن . ونفذت تعليماتي كلها .

أولـــيـــس : كنت أعطي الأوامر .
ولذا فقد كنت قادراً على تلقي الأوامر يا أثينا العاقلة .

أثـــيـــنـــا : جميل . ولكن إذا زلق لسانك تسببت في هلاكهم .

أولـــيـــس : سيكون هذا صعباً .

أثـــيـــنـــا : والآن غيِّر هيأتك . تصرف! لم يرك أحْد بعد .

«تختفي أثينا . أوليس ينهض من حلمه . يمشي . على الرمل في العاصفة . إيومايوس يمشي أمامه . يدخل بيلي بلو» .

بـيـلـي بـلـو : «يغني»

تصور نشوة أوليس المريرة .

تصوره بعد تلك الليلة الصعبة يصل إلى بابك .

ضاعف هذه الليلة إلى أسبوع ، أو شهر ، يا يسوع الرب .

ضاعف هذا الشهر إلى سنة ثم إلى عشر .

وأنت والشروق تتسلقان نحو باب البيت .

وثمة شجرة تعرفها تبدو لك بغتة أكبر بعشرين سنة .

ولكن لم يكن هذا ما يحدث . ولذا فقد بكى العائد إلى بيته .

وأحس بأصابع الفجر تلمس كتفه .

لم يعد هذا بيتك . ولا هذا كلبك ، أو زوجتك العجوز ، أو قطتك أو ابنك أو كرسيك أو ركوة قهوتك . أنت متشرد .

وعلى الممسحة أمام الباب كلمة «أهلاً» ،

وهم يمسحون أحذيتهم بقلبك .

ولا تستطيع شيئاً أمام هذا كله .

«إيومايوس يترك أوليس» .

عشرون سنة ، وأنت تنفض الغبار أمام باب بيتك .

قل لي يا أخي . لو أنك كنت ذلك القط أما كنت ستتألم ؟

ألن تتألم ؟ هيا بنا إذاً يا أخي . فأنا أتألم .

يا رجل . سأجعل من أفخاذهم جلود طبول .

والخمر ؟ من دمهم طبعاً .

المشهد الرابع

«مطبخ القصر . أوليس وبيلي بلو ، بهيئة ديمودوكوس في زاويتين مختلفتين . أصوات الخاطبين » .

أولـــيـــس : هل سبق لهؤلاء السادة أن أعطوا صدقة لفقير ؟

ديمودوكوس : أكفهم مغلقة بإحكام مثل جذور الزيتون .

أولـــيـــس : أفضل جواباً بسيطاً . ودون استعارات أومجازات .

ديمودوكوس : محكمة الإغلاق ككلابات السرطعان إذاً .

الاستعارات هي حياتي .

أولـــيـــس : وتغني في أرجاء الجزيرة ؟

ديمودوكوس : لهجتك كلهجة أهل طروادة .

أولـــيـــس : لم يسبق لي أن رأيت طروادة .

ديمودوكوس : ولا أنا يا سيد لا أحد .

أولـــيـــس : أنا لم أكن في طروادة .

ديمودوكوس : عمري لم أنس صوتاً .

أولـــيـــس : صحيح ؟

ديمودوكوس : هذا الغريب يتكلمها . ولكنه يكره الشعر .

«صمت . يهسهس » .

اسمه مثل هسيس الموج ، أوليس .

أولــــيــــس : لم يسبق لي أن سمعت به . مع أنني سمعت الموج يدوّم .
ديمودوكوس : أستطيع أن أميز العلوّ من الأصوات . أنت بحجمه .
أولــــيــــس : صحيح ؟ أرأيت أوليس ؟
ديمودوكوس : لم أره . بل رأيت من خلاله .
أولــــيــــس : هذه لهجة غريبة . من أية جزيرة أنت ؟
ديمودوكوس : من أرخبيل بعيد . البحار الزرقاء . مثل بحاركم تماماً .
أولــــيــــس : وهكذا تلتقط قصصاً غريبة وتشبكها ؟
ديمودوكوس : البحر يتحدث اللغة ذاتها في كافة شواطئ العالم .
أولــــيــــس : وأنا أُعميت أيضاً . بفضة البحر المتوهجة .
ديمودوكوس : ليس الأمر ذاته تماماً يا صاحبي .
أولــــيــــس : لقد اقتلعت عين عملاق .
ديمودوكوس : سمعت عن هذا .
أولــــيــــس : نعم .
ديمودوكوس : لابد أنك أم وضيعة يا رجل .
أولــــيــــس : وهكذا يكون أي رجل في المضائق اليائسة .
ديمودوكوس : أتخيل ذلك .
أولــــيــــس : هل تأتي هي إلى المطبخ ؟
ديمودوكوس : فعلاً يا صاحبي .
أولــــيــــس : بنظرة واحدة منها قد يفقد قلبي تماسكه .
ديمودوكوس : ولكن لم هي يارجل ؟ هل صار صبرها الآن أسطورة ؟
أولــــيــــس : لأنه كان لدي يوماً امرأة كهذه . وابننا .
ديمودوكوس : «يغني»

هناك شيء واحد فقط أستطيع أن أقارنها به .

إنها مثل صنوبرة خضراء لا تميل على هضبتها .

وأوراقها تعيد تأرجح الماء القوي .
تمد جذورها في الصدع ، ليست كرمة البحر أو الآس الشائك
ولكنها بالرسوخ ذاته . عشرون سنة بعد مذبحة طروادة
وكما تحول الصنوبرة نفسها إلى قلعة ،
فإن هذه الصنوبرة لن تغذي نار أي رجل بأغصانها المتكسرة .
أو تسمح لعهوده بالعشعشة ، كما الأغصان الأخرى ، للسنونوات
بل إنها في شهوقها ، ووسط مرج الورود الباردة ،
أقامت حصاراً أطول من حصار طروادة .

« تدخل بنلوبي » .

بنلوبي : لا تنشغل بهذا المصري . أعمى ككل المتملقين .
أوليس : إنها الحقيقة .
بنلوبي : ربما . ولكن منذ متى تُحول الحقيقة الرجال إلى حكماء ؟
أوليس : أيمكنني أن أتحدث إليك ؟
بنلوبي : بيتنا يرحب بالمتسولين .

« تخرج » .

ديمودوكوس : إنها روح جميلة رائعة . حضورها يشعشع عينيّ .
أوليس : ما من امرأة يمكن لرفقتها أن تبهجني مثلها .
ديمودوكوس : كيف تبدو لك ؟
أوليس : ريح تلمّع شجرة زيتون .
ديمودوكوس : ما هذا ، إن لم يكن إحدى الاستعارات ؟
أوليس : صحيح . أنا قابلتها أولاً . أليس كذلك ؟

ديمودوكوس : « قابلتها أولاً » . شيء مضحك .

« يغني » .

ولكن في شهوقها ووسط مرج الورود الباردة

أقامت حصاراً أطول من حصار طروادة .

« تمر ميلانتو ، الشبيهة بناوسيكا . تتعثر بأوليس . ترفسه » .

ميلانتو : كدت توقعني . أيها المتطفل الشريد .

أوليس : آسف . ولكن عليك أن تحترمي الذين هم أكبر منك سناً يا ابنتي .

ميلانتو : أنت أردتني أن أسقط لكي ترى هذين الفخذين .

« تجلس قبالة أوليس وهي منفرجة الساقين » .

جميلان ؟

أوليس : يمكن أن تُعدمي لهذه الصفاقة البذيئة .

« تنهض ميلانتو » .

ميلانتو : أنت ستُجلد . ولكن من سيشنقني أنا ؟

أوليس : أوليس .

ميلانتو : وليبيبي .

« وتم له لسانها » .

أوليس : مرآة ناوسيكا . البراءة المفسَدة .

« تدخل يوريكليا » .

يوريكليا : ميلانتو . عودي إلى الداخل ونظفي الطاولة .

ميلانتو : لا . أيتها العاهرة السوداء المكركبة . أنا منشغلة بأمير .

يوريكليا : روحي . ولكن هذا الفم الأحمر الساخن سيوقعك في المشاكل .

ميلانتو : وأنت ستكونين تحت الأرض بستة أقدام قبل أن يحدث ذلك .

« تخرج » .

أولــــيـــــس : هذا المستنقع المهمل . هذه البركة الآسنة . وهذه الفوضى في البيت .

يوريـكـلـيـا : منذ سنين ياسيدي وهذا الدشران قائم .

أولــــيـــــس : أين سيدهم ؟

يوريـكـلـيـا : سيد ؟ تعني تيليماكوس ؟

ديمودوكوس : الولد لا يستطيع السيطرة عليهم . إنهم مئة مقابل واحد .

« جاريتا غسيل الأطباق تمران حافيتين ومعهما برميل صغير من السمك . ملابسهما مبللة » .

جـــاريـــة ١ : قرفت من تنظيف السمك . ذراعاي مليئتان بالحراشف .

« أوليس ينهض » .

أولــــيـــــس : أنتما أختان . لكما الأذرع البيضاء ذاتها . لقد رأيتكما من قبل .

جـــاريـــة ١ : مخيف . أليس كذلك ؟ كيف يقطب هذا الأحمق العجوز ؟

جـــاريـــة ٢ : رهيب . تقطيبته مثل عقفة المرساة .

أولــــيـــــس : هلال كالخيط هناك فوق الماء الأرجواني .

جـــاريـــة ١ : إبتعد . أيها الكركند ذو العين الحشرية . أرجع مخالبك .

أولــــيـــــس : نعم .

« الجاريتان تضحكان » .

إنني أصطاد . وقد اصطدتكما . أين كان ذلك ؟ من فضلكما .

يوريـكـلـيـا : مجموعة من المهيجات المبتذلات .

« تخرج الجاريتان وهما تضحكان وتلقيان بالسمك . يدخل أرنايوس ، وهو راعي خنازير . يضع لصاقة على عينه ويرتدي جلد خروف قذر » .

ماذا تريد ؟

أرنـــايـــوس : ليس أنت . أيتها العصا العجوز الجافة . لقد أحضرت بعضها .

يوريكليا : خنازير إيومايوس أفضل .

أرنـــايـــوس : من يقول ذلك ؟ أنت ؟

يوريكليا : أنا أقول ذلك .

أرنـــايـــوس : ثمة كلب يموت قرب مكب الأوساخ .

«يوريكليا تخرج» .

أولـــيـــس : مرحبا .

أرنـــايـــوس : «مرحباً يا سيدي» . قال الكلب . فمن أنت ؟

أولـــيـــس : أنا لا أحد .

أرنـــايـــوس : نحن لا نحب اللاأحدات هنا .

أولـــيـــس : ممكن .

أرنـــايـــوس : ماذا ؟

أولـــيـــس : قلت : ممكن .

أرنـــايـــوس : لا تناقشني .

«أوليس يؤدي تحية السيكلوب» .

أولـــيـــس : سيدي .

أرنـــايـــوس : ولا تتظارف أيضاً . لا تحاول أن تسخر .

أولـــيـــس : ماذا حدث لعينك ؟

أرنـــايـــوس : ليس هذا من شأنك أيها اللعين .

أولـــيـــس : أترعى الأكباش ؟

أرنـــايـــوس : وماذا يعني هذا ؟

أولـــيـــس : ألم أسقها بوتد ؟

أرنـــايـــوس : أوه . أنت فعلت ؟ مجنون . لم يكن هذا حسناً .

« يلقي بأوليس عن كرسيه » .

أولـــيـــس : أنت جمعت الأكباش على جروف السيكليديس .

أرنـــايـــوس : أكباش ؟ إفتح فمك وأنا سأعبئه بالقذارات .

أولـــيـــس : ألا تذكر ؟

أرنـــايـــوس : ماذا ؟

أولـــيـــس : نحن معاً . ونحن نسحب شفرات مجاديفنا ؟

« أرنايوس يسكب الحساء على أوليس » .

أرنـــايـــوس : تمتع .

أولـــيـــس : وأنت تلقي بجلمود بحجم السفينة عن تلّتك ؟

أرنـــايـــوس : أية تلة ؟!

« أوليس يقفز على أرنايوس . يتصارعان في كافة أرجاء المطبخ . يوريكليا تدخل » .

يـوريـكـلـيـا : اللعنة على الفوضى . ماذا تظنون هذا المكان ؟

أرنـــايـــوس : سأفقأ عينيك مثل هاتين البيضتين . أتسمع ؟

« يفقش بيضتين بين راحتيه » .

يـوريـكـلـيـا : أرنايوس . خذ مالك . وانتبه لشغلك .

« أرنايوس يأخذ المال . ويدفع أوليس بعيداً . أوليس يجلس على الأرض » .

أرنـــايـــوس : أكباش . سيكليديس .

« أرنايوس يخرج . إيومايوس يدخل » .

إيـومـايـوس : الكلب العجوز يموت قرب الزبالة .

ديمودوكوس : رائحته كالزبالة .

إيـومـايـوس : الزبد يخرج من ضلوعه .

أولـــيـــس : أرغوس ؟

يـوريـكـلـيـا : لم يعد يأكل .

«تخرج» .

إيـومـايـوس : إنه تَحَطُّمُ القلب في الشيخوخة .

أولـــيـــس : منذ متى ؟

ديمودوكوس : منذ أن ذهب سيده على السفن الطويلة .

«أوليس يمشي خارجاً . صمت . إيومايوس يلمس كتف بيلي بلو» .

إيـومـايـوس : الكلب العجوز يزحف نحوه بأرجل ولدت له من جديد .

بـيـلـي بـلـو : أرغوس ؟

إيـومـايـوس : يشمشم فخذيه . وهو يهدهد الكلب . لقد مات .

بـيـلـي بـلـو : كان ينتظر ذلك . سيده . الملك الذي يتسول .

إيـومـايـوس : كنت أحبه كثيراً . كلب رأى أكثر مما رأيت .

بـيـلـي بـلـو : هذا الرجل لا يجرؤ على البكاء .

مع أن الليالي والأيام قد تكون مبللة .

إيـومـايـوس : أطعمته من لحمه . وآويته في كوخي .

بـيـلـي بـلـو : شممت فيه رائحة البحر .

يجب أن تحافظ على سره .

إيـومـايـوس : يا إلهي أية عقدة ألمٍ تتجمع في قلبه ؟

«يخرج إيومايوس وبيلي بلو . يدخل تيليماكوس . بقلنسوة . ويجلس صامتاً . يدخل أوليس» .

أولـــيـــس : ومن أين أنت أيها الشاب ؟

«صمت» .

تيليماكوس : أنا من حيث يأتي كل إنسان . أنا من بيتي .

أولـــيـــس : وأين ذلك ؟ قلت : « وأين ذلك ؟ » .

تيليماكوس : إسمع ايها الرجل . لقد تأخر الوقت .

أولـــيـــس : لا يفوت الأوان أبداً يا فتى .

« صمت » .

تيليماكوس : ومن أين أنت ؟

أولـــيـــس : من البيت أيضاً .

تيليماكوس : فنحن إذاً من المكان ذاته . عظيم .

« يخرج » .

المشهد الخامس

«غرفة في القصر . إظلام على الجدران المدهونة . تدخل بنلوبي . تجلس على نولها . يقترب منها أوليس» .

بنلوبي : ويجلس البلياديس لسماع قصص البحارة .

أوليس : ويتقدم الجوّاب المحظوظ الآن مترنحاً إلى سريره .

بنلوبي : سريري محاصر بمئة خاطب .

أوليس : وأنا تركت البحر . زركشاته كانت عروسي الخائنة .

بنلوبي : كنت تعرف زوجي إذاً ؟

أوليس : أعرف أوليس .

بنلوبي : تقول : أعرف ولا تقول كنت أعرف أو عرفت . أيعني هذا أنه لم يمت ؟

أوليس : تحول إلى اسم يجوب البحار البيضاء .

بنلوبي : لا أستطيع انتظار اسم أو تدفئته في سرير .

أوليس : ذات يوم أعطيتِه حلية تميمة (بروش) . وعليها كلب يصطاد خشفاً .

بنلوبي : أرأيت الحلية التميمة ؟

أوليس : نعم .

بنلوبي : أحافظتْ عليه في الحرب ؟

أولـــيــــس : كان يقبلها كثيراً قبل كل معركة .
بـنـلـوبـي : ورأيت ذلك ؟
أولـــيــــس : أقسم .
بـنـلـوبـي : كم أقسم لي رجال من قبل .
«صمت» .
أأستطيع أن أشتغل ونحن نتحدث ؟
«تحيك . ضجيج من الخاطبين» .
أولـــيــــس : في بيتي غرف مظلمة لاأجرؤ على تفحصها .
بـنـلـوبـي : وأين بيتك ؟
أولـــيــــس : هنا .
«يمسك بصدغيه» .
السرطعان يتحرك حاملاً ممتلكاته (بيته) .
بـنـلـوبـي : والسلحفاة .
«ضجيج الخاطبين» .
أولـــيــــس : البحر يولّد الأغوال . ولكن ما من غول أغرب من الإنسان .
بـنـلـوبـي : وأين الخيط الذي يربط هذه الأفكار ؟
أولـــيــــس : في نسيج عقلي .
«صمت . بنلوبي تشتغل» .
النموذج معقد . ما الذي تحيكينه ؟
بـنـلـوبـي : وشاح للايرتيس .
أولـــيــــس : ذلك الذي ينتظره خاطبوك ؟
بـنـلـوبـي : نعم . لقد تصادقوا معه .
أولـــيــــس : إلى أن يأخذ وقته وينتهي ؟
بـنـلـوبـي : إنني أفككه مثلما تأخذ السنونوة القشة بمنقارها .

أولـــيـــس : السنونوات صديقاتي .
بـنـلـوبـي : ثمة عش في هذا البيت .
أولـــيـــس : سأحكي كلمة مع أحدهم . ولكنهم تدبروا أمورهم .
بـنـلـوبـي : تعني وفائي للإله أوليس ؟
أولـــيـــس : أترين أنه إله ؟
بـنـلـوبـي : كان إلهاً للبنت التي كنتها . ليس أكثر من ذلك .
أولـــيـــس : والآن ؟
بـنـلـوبـي : لم يتغير شيء . لا تغيير . ولكن اليوم علي أن أختار .
أولـــيـــس : واحداً من أولئك الذين هناك ؟
بـنـلـوبـي : نعم . إبني الآن ناضج .
أولـــيـــس : ومن منهم تودينه أكثر من الآخرين ؟ أنتينوس ؟
بـنـلـوبـي : قلت إنني سأكون متأكدة حين ينتهي الوشاح .
أولـــيـــس : كان من الممكن أن أكون واحداً من هؤلاء لو أنني أصغر سناً .
بـنـلـوبـي : وحين أكشف نقابي سأوشح هذا الوجه .
أولـــيـــس : لماذا ؟
بـنـلـوبـي : قلت إنني سأختار واحداً من مئة زوج .
أولـــيـــس : حالما ينتهي الوشاح ؟ أكان الزواج هو الوعد بعد الانتهاء ؟
بـنـلـوبـي : موت عهدٍ ما في عهدِ عرسٍ آخر .
أولـــيـــس : وستظلين تحكمين المملكة وأنت إلى جانب زوجك .
بـنـلـوبـي : هذا يعني أن يُقتل ابني أو يحرم من ميراثه .
أولـــيـــس : سرعان ما سترتدين الوشاحين : وشاح العروس ووشاح الأرملة .
بـنـلـوبـي : وسيحول الليلكُ سرير زواجي إلى قبر .

« صمت » .

أتبكي ؟ أنت بردان . هل أشعل لك ناراً ؟

أوليس : لا . دعيني أجلس هنا وأحتسي هذه الغبطة حتى الثمالة .

بنلوبي : أية غبطة ؟

أوليس : الامتنان الذي يهدّئ الرغبة .

بنلوبي : أوكنت ملكاً في مكان ما ؟

أوليس : ذات يوم . ولكنني الآن الشخص الذي يتسول .

بنلوبي : كما يبدو البحرُ الأزرق في نهاية الممر ؟

أوليس : نعم ؟

بنلوبي : ثم يتحول رصاصياً وتنذر السماء بالمطر ؟

أوليس : والمعنى ؟

بنلوبي : هذا بيتي منذ أن غادره إلى حربه .

أوليس : ولكن هذا البحر قد يتألق ويعود زوجك .

بنلوبي : يقولون إن هناك بوابتين يتم منهما تصوير أحلامنا .

أوليس : نعم . إحداهما مصنوعة من العاج . والأخرى من قرن .

بنلوبي : وأن أحلام البوابة العاجية كاذبة ونحن ننخدع بها .

أوليس : والقرن يقدم ما يرى .

بنلوبي : حلمت به ، بأوليس ، مرة أخرى ليلة أمس .

أوليس : وأية بوابة انفتحت ؟ القرن أم العاج ؟

بنلوبي : القرن . حلمت بنسر يقتل أوزاتي كلها .

أوليس : أتطلبين مني أن أفسره لك ؟

بنلوبي : نعم . ساعدني .

أوليس : الأوزات الزاعقة ؟ هم الخطّاب .

بنلوبي : والنسر ؟

أولـيـس : أوليس .
بـنـلـوبـي : آه .
أولـيـس : سيكوّم القتلى كالغسيل الوسخ أمام خادماتك .
بـنـلـوبـي : ستلبسك جواريَ الملابس التي كانت لزوجي .
أولـيـس : ليست على مقاسي يا سيدتي .
«بنلوبي تذهب إلى الباب وتصفق بيديها» .
بـنـلـوبـي : يوريكليا! أنت بين أيد طيبة .
أولـيـس : نعم .
بـنـلـوبـي : ما من إيمان أكبر من الإيمان الذي لدى هذه المصرية العجوز .
أولـيـس : ثقي بإيمانها إذاً .
بـنـلـوبـي : ما كل بومة نذير شؤم .
«تعود إلى النول» .
أولـيـس : أتشتاقين إليه دائماً ؟
بـنـلـوبـي : أوتفتقد الظبية صغيرها ؟
أولـيـس : أو الأسد العجوز لبوته ؟ أعرف ما تعنينه .
بـنـلـوبـي : إنني أحيك وأفكك هذا الشيء مع أغنية صغيرة .
أولـيـس : قد تكسر قلبي .
بـنـلـوبـي : إنها أغنية قصيرة . ولن تكسر قلبك .
«تغني» .
مثلما تحيك وشيعة البحر رغوتها وتمحوها .
إنه يتمدد تائهاً في معركة ، وحوله الأعشاب المالحة .
ولكنها تحيك وتصلي أن يعود ذات يوم إلى بيته
جميلاً مثلما وجدته حين قطعا وعودهما .

«تتكلم» .

انتهت الآن . وهو قد مات . مثل ترملي .

أولـــيـــس : وإذا كان لم يمت ؟

بـنـلـوبـي : فات الأوان . لقد وعدتهم .

أولـــيـــس : ألا تستطيعين الانتظار ؟

بـنـلـوبـي : لا أستطيع . يجب أن أفي بوعدي .

أولـــيـــس : إنني ألعن سبب أحزانك .

«تدخل يوريكليا بحوض وملابس وزيوت» .

يـوريـكـلـيـا : يا إلهي يا سيدتي . هل سأغسل قدمي هذا الرجل ؟

بـنـلـوبـي : إنه ضيفنا .

يـوريـكـلـيـا : ضيفك . وليس ضيفي .

بـنـلـوبـي : عامليه وكأن هذا البيت بيته .

يـوريـكـلـيـا : اللعنة على هذا المتسول وإبهامه العفن .

بـنـلـوبـي : وبعدها يسرِّح شعره ويُلبس لباسه .

«تخرج» .

يـوريـكـلـيـا : قد تكون أول رجل تأخذه إلى فراشها .

أولـــيـــس : إنتبهي إلى كلامك .

يـوريـكـلـيـا : إغسل قدميك .

«ترفع ثوب أوليس حتى الفخذين» .

إنتظر . من أين جاءتك هذه الندبة ؟

أولـــيـــس : خنزير بري حوصر بين القصب فاخترق هذا الفخذ .

يـوريـكـلـيـا : خنزير ؟ وفي المكان ذاته ؟

«تسقط إلى الوراء» .

يا إلهي . أهو أنت ؟ السيد ؟

« يمسك بها أوليس ويغطي فمها » .

أوليس : أتسمعين هؤلاء الخنازير البرية الهائجة هناك ؟
إخرسي وإلا متنا .

« تيليماكوس يدخل بقلنسوته » .

تيليماكوس : أليس للمتسولين المتعيشين على هذا البيت من نهاية ؟

يوريكليا : تيليماكوس . رجعت ؟

تيليماكوس : نعم . رجعت لكي أنهي هذا كله .

« يمسك بأوليس » .

أوليس : كيف حال نستور الطيب ؟ وصديقي ميليناوس ؟

تيليماكوس : لم يصلا إلى الدرك الذي وصلتَ إليه . وبعدها ستعرف أوليس .

أوليس : عظيم .

يوريكليا : إجلس يا ولد . قبل أن يغمى عليك . إنه أبوك .

تيليماكوس : هذه الفخامة التي في الأسمال . هذا المهجن المليء بالجرب ؟

أوليس : أرغوس مات . وقد دفنته . أره الندبة .

« يوريكليا تبين الندبة . تيليماكوس يجلس » .

يوريكليا : ألا تذكر الحكاية التي حكاها لك عن الخنزير البري الأبيض ؟

تيليماكوس : قد يحدث هذا لأي إنسان .

أوليس : وفي المكان ذاته ؟

يوريكليا : إفتح ذراعيك له يا ولد .

أوليس : أريد ملجأ .

يوريكليا : أأنتما مثل سرطعانين حذرين ؟ تعانقا . هيا . تعانقا .

أولـيـس : الينابيع تسيل حول حجارة جبل نيريتون المغطاة بالطحالب .
تيليماكوس : سيدي .
أولـيـس : هذه الدموع المتحدرة يا تيليماكوس هي جداولها .
تيليماكوس : توقف .
أولـيـس : تخطط وجه الجبل لكي تصل إلى وجه البحر .
تيليماكوس : أرجوك .
أولـيـس : طوال عشرين عاماً كان هذا اللقاء يملّح أحلامي .
«تيليماكوس وأوليس يحتضن كل منهما الآخر» .
تيليماكوس : أيستطيع ابي أن يقف قريباً من دهشتي ؟
أولـيـس : أنت نحيل جداً يا تيليماكوس . يجب أن تتمرن .
تيليماكوس : أهذا ما تنبأ به العصفور ؟ ما عنته السنونوة ؟
يوريكليا : نعم . نعم .
تيليماكوس : سأتمرن فوراً يا «ناهب المدن» .
أولـيـس : لا تحسدني على طروادة . طروادة .
يا إلهي من الذي يحتاج إلى الآخر ؟
تيليماكوس : ومتى رجعت إلى بابك مثل شحاذ ؟
أولـيـس : عشر سنين في طروادة . وبعدها عشر سنين أخرى من التعب .
يوريكليا : يجب أن أركض لأخبر أمه بالأخبار الطيبة .
أولـيـس : لا . من الذي قال لك إنني قد رجعت ؟ من جلب الرسالة ؟
تيليماكوس : كان الحب سوطي . وكان الخوف والمسرة حصانيّ .
أولـيـس : سأظل ساعات أخرى متسولاً يا بني . فلقد لجمت غضبي .
تيليماكوس : كانت العجلات تصرّ دائماً : أوليس . أوليس .
أولـيـس : مثل نستور آخر ؟ على الرمال البيضاء .

تيليماكوس : إنه يتذكر تلك السباقات عند سكاماندر .

أوليس : يتذكر ؟

تيليماكوس : ولكن الآن صارت يداه مخالب وغصوناً .

أوليس : ألمي في كتفي . آمرنا ذو الشعر الأحمر .

تيليماكوس : اختبأت شهوراً في قصر مينلاوس .

أوليس : العجوز ذو الشعر الأحمر الذي ألهبنا للبحث عن زوجته .

تيليماكوس : وعاد إلى بيته قبلك بعشر سنين . إنه أمير عظيم .

أوليس : غنيّ . مدين لي بعشرين سنة من حياتي .

« صمت » .

وهيلين التي رمّلت العديد من الزوجات ؟

تيليماكوس : سأرتعش لو كنت أنا ماء حمّامها .

أوليس : سترتعش فعلاً . فشعرها الذهبي رسم حياتنا .

تيليماكوس : لقد استقرت الآن .

أوليس : إنها في غروب أوجها .

تيليماكوس : أوكان الرجال يرون أنها مذهلة

إلى درجة أن يشنوا الحرب من أجلها ؟

أوليس : في النهاية لا . وما من واحدة مثل أمك .

يوريكليا : ولا واحدة .

« يتمشى أوليس » .

أوليس : هناك أسلحة لامعة على جداري . تذكارات من حروبي ؟

تيليماكوس : نعم ؟

أوليس : أنزلها . وقدم عذر أحد الخدم .

تيليماكوس : كأن دخاناً كثيفاً يلوثها . هذا هو عذري .

أوليس : لتلميعها وتخزينها إذا ما تساءل أحد عن السبب .

تيليماكوس : سأخبئ أسلحتك من طريق الخاطبين .

«أوليس يوقفه» .

أوليس : إحذر الجاذبية الباردة التي للحديد .

تيليماكوس : لماذا ؟

«يضربه أوليس ثم يعانقه» .

أوليس : لأن الرجال يصنعون الأسلحة التي ينوون استعمالها .

يوريكليا : يا إلهي . عشت حتى رأيت الأب يلتحم بابنه .

أوليس : يوريكليا . إسمعي . قولي إنكِ قد استأجرت هذا المدير .

يوريكليا : نعم يا سيدي . ولكن إفترض أنهم عرفوه .

أوليس : ليس إذا أهنتِه وأحنى رأسه .

تيليماكوس : أهذا ما عنيته حين قلت يتأولس ؟

«يضحكان ويخرجان» .

المشهد السادس

«القصر . أوليس جالس على عرش ، وهو بهيئة الشحاذ ، ومعه وعاء التسول ومجداف . وهو ملتف بشبكة صيد . الخاطبون يحيطون به» .

إيوريماكوس : يقول عن نفسه إنه ملك . ونحن نريد أن نعرف من أنت .

كتيسيبوس : تحت هذه الأسمال هناك سلطة قوية .

بوليبوس : هذا الوعاء هو كرته* . وهذا المجداف المعقد صولجانه .

أمفينوموس : حيّوا الصولجان المصولج والخيال الممرغ بالوحل .

أوليس : هذا الجسد سفينة مضلعة لم تغرق أبداً .

كتيسيبوس : إسمعوا تبجحات هذا المتسول . إنها رائعة .

أوليس : لم يسبق له أن ثبته رمح بوزيدون الثلاثي .

أمفينوموس : إذا كان قد تفوق بذكائه على إله
فلابد أن يكون هو نفسه إلهاً .

إيوريماكوس : دعونا نر إن كان إلهاً . ضعوا إلى جانبه رمحاً .

كتيسيبوس : إشبكوا حاجبيه بإبر الصنوبر . واجعلوا الأشواك تاجاً له .

بوليبوس : يكفي أن تحفروا على رأسه الدامي عبارة «ملك الشحاذين» .

---

* كرة وعليها صليب ترمز إلى قوة الملك وسطوته .

أمفينوموس : ثمة ثقوب رطبة في وجهه الموحل . أيها الرمة البالية .

إيوريماكوس : إسبروا أضلاعه بهذه الشوكة . لنرى إن كان سيجفل .

«تعتم الغرفة» .

أوليس : من هذه السماء المكفهرة ومن هذا المطر المفاجئ .

كتيسيبوس : إنه* يتكلم .

أوليس : العاصفة ستعتّمكم أيها الأمراء اللامعون .

إيوريماكوس : يا للملك العظيم .

أوليس : ما تحملته ستتم المعاناة منه مجدداً .

«سنونوة تمر» .

إيوريماكوس : ما كانت هذه الضجة ؟

بوليبوس : لا شيء . سنونوة .

أوليس : إتلوا صلواتكم .

كتيسيبوس : لماذا ؟

أوليس : إنها تؤجج الكير الذي يطرّق سنديا نُه البرق .

بوليبوس : هذا يعني أننا حين نسمع السنونوة في المرة القادمة يجب أن نقول :

كتيسيبوس : إنه حدّاد الغيوم العجوز ، أقصد أنت ، أيها الملك الحزين .

أوليس : إنه يبيّض السنديان بالخوف . وشوكته قد دفنت .

أمفينوموس : إرتعدوا! بوزيدون ينهض ومعه سلاحه ذو الأشواك الثلاث .

بوليبوس : شعره يتدلى مثل الحبّار . ومحار الأسقلوب يلتصق بلحيته .

أوليس : قبوركم ستتقلب بعدها مثل الأمواج .

«أنتينوس يدخل» .

---

* يستخدم ضمير غير العاقل للحديث عنه .

أنتينوس : من هذا ؟ وما الذي يجري ؟ ولم هذا الضحك ؟

إيوريماكوس : هذا متسول يرى نفسه بوزيدون .

كتيسيبوس : أو أي إله آخر .

أنتينوس : ليس هناك آلهة . لقد ألقينا بهم .

أمفينوموس : ولكنه يحكي حكايات جميلة . أغوال ذات ست عشرة عيناً .

بوليبوس : وعجائز بأثداء كالأكياس يغنين مثل الملائكة .

إيوريماكوس : وحقيبة من الريح من حقيبة الريح .

بوليبوس : أكاذيب بحار عجوز .

كتيسيبوس : إسمعوا هذه . أسماك ذات نهود مثل الصبايا .

أوليس : لم أعرف الراحة يا سيدي منذ أن هُزمتْ طروادة .

أنتينوس : يا للبؤس . فأنت لن تجد الراحة هنا أيضاً .

أوليس : في بيت المرء تتكرر الغيلان كلها .

أنتينوس : لم ننته بعد .

أوليس : أعرف . وأفضل أولئك الذين هم في الخارج .

أنتينوس : لماذا ؟

أوليس : كنت في طروادة .

أنتينوس : أكنت هناك ؟ كلهم كانوا في طروادة .

إيوريماكوس : فعلاً . إكسب حرباً فيدعي الجميع أنهم كانوا فيها .

أنتينوس : وماذا فعلت في الحرب يا جداه ؟

أوليس : أنا صادق .

كتيسيبوس : لدى هذا الكلب العجوز فتات من الكبرياء .
أرجوكم لا تهينوه .

أنتينوس : قل لي ، أيها الهجين المغطى بالجرب ، كيف تشعر ؟

أولـــيـــس : مثل أسد يعرج هابطاً تلالاً لها لون الأُسود .

أنـتـيـنـوس : ويقارن نفسه بملك الوحوش ؟ هذا الأحمق .

أولـــيـــس : ويعرج في متاهة القاعات الأليفة .

أنـتـيـنـوس : رجل ذو ألغاز عديدة . وما الذي تثرثر به الآن ؟

أولـــيـــس : إنه يهز عرفه كالدموع . كان هناك الكثير مما يجب إنقاذه .

«أنتينوس يركله» .

أنـتـيـنـوس : أيها الكلب .

أولـــيـــس : وعيناه ترفّان فتغمضان . كل إهانة سهم .

أنـتـيـنـوس : جرّوا هذا الكلب إلى المطبخ وعلموه كيف يؤدي الخدمات .

«يبدأ الخاطبون بسحب أوليس إلى الخارج . أوليس يتوقف ، ويلتفت» .

أولـــيـــس : لم لا تبحثون عن أسلحتكم خشية أن تتعرضوا للحصار ؟

إيوريماكوس : ومن الذي سيحاصرنا ؟

أولـــيـــس : أعداؤكم .

أنـتـيـنـوس : ومن هم ؟

«يدخل تيليماكوس بهيئة قهرمان» .

أولـــيـــس : قطيع من عجائز الخنازير . ولد . تلك السنونوة . هؤلاء جميعاً .

إيوريماكوس : أنتينوس . الأسلحة . لقد أُخذت .

أنـتـيـنـوس : من نقل السيوف والحراب التي كانت هنا على هذا الحامل ؟

تيليماكوس : أنا يا سيدي . كانت تفقد بريقها بتأثير دخان المطبخ .

أنـتـيـنـوس : ومن عيّنك حافظ أسلحة ؟ هيا . إركض وأعدْها .

تيليماكوس : سيدي...

أنتينوس : سمعت ما قلته لك .

« يصفع تيليماكوس ويركله » .

أوليس : « يضحك » . جميل . ناوله صفعة أخرى .

« ضجة عالية ومدوية تتردد أصداؤها » .

إيوريماكوس : ما هذا الصوت ؟ ما هذا الارتجاج ؟

أمفينوموس : مثل ثور في مرج يخور في النزاء .

إيوريماكوس : لا . هذا باب ضخم يئن لانفراج حديده .

« تدخل بنلوبي وهي تحمل قوساً . ومعها إيومايوس ويوريكليا » .

بقوس محنية مثل قرني الثور تمشي مشبعة بالكراهية .

بنلوبي : تعرفون كيف يدق البحارة الإسفين تحت السفينة .

إيومايوس : قبل إبحارها . بسلسلة فؤوس .

« يرتب الفؤوس » .

أنتينوس : ما الذي ترتبه ؟

بنلوبي : آخر اختبار لمهارتك .

أنتينوس : أي اختبار ؟

بنلوبي : أن ترسل السهم عبر فتحات اثنتي عشر فأساً .

« صخب » .

أنتينوس : والذي يطلق السهم عبر هذه الفؤوس ماذا ستكون مكافأته ؟

بنلوبي : يدي المترملة .

أنتينوس : الزواج ؟ فأنت عند كلامك إذاً ؟

بنلوبي : حين كان زوجي صنوبرة فتية كان يستطيع أن يفعلها .

أنتينوس : وسترين أنني أستطيع ذلك أيضاً .

إن روحي ستطير من هذه الغابة .

إيوريماكوس : أنا سأبدأ .

بنلوبي : نعم . إبدأ وتخلص من ديونك .

« إيوريماكوس يحاول أن يوصل وتر القوس . يبذل جهداً ويلعن . ثم يفشل » .

إيوريماكوس : لا أعرف ماذا حدث . هناك حظ غريب جداً .

أوليس : أليس لديك روح لذلك يا أنتينوس ؟ أم أنك في شك من أمرك ؟

أنتينوس : أنا سأنهي هذه اللعبة . دعوا له المحاولة الثانية .

« أوليس يتقدم ويمسك بالقوس . يتظاهر أن توصيل الوتر صعب . يوريكليا تدفع تيليماكوس بقوة » .

يوريكليا : ساعده على تزييته أيها الخنزير الكسول .

« تيليماكوس يساعد أوليس في تزييت الخشب » .

تيليماكوس : أتستطيع حني القوس ؟

أوليس : هذان الرسغان صارا أقسى من شجر الصنوبر من كثرة التجديف .

« يوريكليا تصفع تيليماكوس » .

يوريكليا : يا ولد .

تيليماكوس : إنه واسع كقرني ثور . أتستطيع أن تفعلها الآن ؟

أوليس : ما لم تتحول هذه الغصون إلى مخالب مثل مخالب نستور .

تيليماكوس : إذا أردت أن أحرض روح الخشب فما الذي سأقوله ؟

أوليس : التكيف المرن في الربيع والطنين .

أنتينوس : ما هذه الطقوس ؟ إبتعدوا عن هذا المتسول .

أوليس : يا أثينا . إجعلي حلوقهم أشجاراً تلجأ إليها السهام .

تيليماكوس : إحنه . إحنه .

أولـــيـــس : هيا أيها الرماد الطري . خذ هذه القطعة بين أسنانك .

« يوصل وتر القوس » .

تيليماكوس : عَلِق . الوتر مشدود مثل قيثارة الشاعر .

« ينقر وتر القوس » .

أولـــيـــس : فلنأمل أن أغنيته ستدفع مئة حنجرة إلى الحزن .

أمفينوموس : أوصلَ الوتر .

أولـــيـــس : «لتيليماكوس» . إبتعد إلى الوراء .

أمفينوموس : ليس سيئاً بالنسبة لهذا العجوز .

« أوليس يطلق السهم عبر الفؤوس » .

بنلوبي : لقد فاز هذا المتسول . وسيرث هذا البيت .

إيومايوس : يوريكليا . الوضع ليس آمناً . خذيها الآن . أرجوك .

بنلوبي : ولكن عهدي .

إيومايوس : قطعته لأمراء وليس لمتسولين .

«تخرج يوريكليا مع بنلوبي» .

أولـــيـــس : باب القرن قد فُتح . والنسر يقتل أوزاتك .

« أنتينوس يتقدم ويشير بيده » .

أنتينوس : القوس .

أولـــيـــس : أتريد لروحك أن تطير من هذا الخشب ؟

كتيسيبوس : سدد القوس بثبات أيها الأبله . وانتبه .

«أوليس يضرب أنتينوس» .

إيوريماكوس : أيها المجنون .

أولـــيـــس : حادث عَرَضي .

إيوريماكوس : في حلقه ؟

أنتينوس : إنزعوا منقار هذه السنونوة من حلقي . آه يا روحي .

«يختنق . ويموت . يدخل بيلي بلو» .

بيلي بلو : رأيت روحه وهي ترفرف خارجة من داخل أضلاع جسده .

تيليماكوس : مثلما عبر السهم فتحات الفؤوس .

بيلي بلو : الروح مرئية .

أوليس : كان الأفضل لك أن تتزوج بدلاً من أن تموت يا أنتينوس .

بيلي بلو : أين الآخرون ؟

تيليماكوس : إنهم مثل تماثيل جامدة . مازالوا يراقبونه .

أوليس : أيها الكلاب . ألم تظلوا تنبحون بأني لن أعود إلى بيتي ؟

بوليبوس : آه! يا للنجاة البشرية ذات الخدع المتعددة .

إيوريماكوس : أوليس . إنه أوليس . مرحباً يا سيدي . مرحباً . أهلاً وسهلاً .

«يزحف على ركبتيه» .

كتيسيبوس : إننا نتوسل إليك ، ونحن على ركبنا .

أوليس : ألا ترون أن التسول حقير ؟

«يقتل إيوريماكوس . الخاطبون الآخرون يهربون . إيومايوس يعطي الترس لأوليس» .

إيومايوس : هاك . أيتها السلحفاة الماكرة . لقد نسيت ترسك .

أوليس : استغرقت هذه السلحفاة عشر سنين يا أجاكس . ولكنها وصلت إلى الشاطئ .

إيومايوس : لكي تخبئ رأسك حين تنطلق الرماح . هيا . نحن الثلاثة .

تيليماكوس : كما لو كان لدينا قبطان طروادة ، مئة مقابل أربعة .

«ضجة الخاطبين» .

إيومايوس : مئة يهمهمون . مثل ريح ترفع غابة .

أوليس : مثل موجة خضراء تتجمع ، تستجمع قوتها .

تيليماكوس : أين تلك الربة أو القبطان الآن ؟

«زعيق طيور» .

إيومايوس : هناك في ذلك العش .

تيليماكوس : زعيق موطن السنونو ، غضب أثينا .

أوليس : «للطيور» . إبتعدوا عن هذه الشجرة ـ السقف يا أصدقائي . واقتلعوا بيوض عيونهم .

«ظلال سنونوات تعبر» .

إيومايوس : الكسارة تستعرض . إنها تكاد تقتحم هذا الباب .

أوليس : إذا استطاعت قوتها أن تفرقنا فبوركت يا إيومايوس .

إيومايوس : أصواتها كصوت النهر حين طاردنا ذلك الخنزير .

«الخاطبون المئة يتجمعون . السنونوات تهاجم أعينهم . أوليس بقوسه وإيومايوس بالترس والسيف . وتيليماكوس برمحه يقتلون الخاطبين المئة . يوريكليا تدخل» .

إيومايوس : عويل نصر أسود لأن الذبح عادة .

بيلي بلو : لرفع أرواحهم نحو الغيوم مثل غربان تنقر أشرعة سوداء .

إيومايوس : يتدحرجون مثل الإعصار ، ودوامة تغزلها عاصفة .

يوريكليا : لا . لا .

بيلي بلو : إبكي يا امرأة . إبكي . فأنفاسك سوف تكشف عن أرواحهم .

«ريح تهب . ظلام . يوريكليا تلف نفسها . تدور . عويل طويل» .

تيليماكوس : كم هو مزعج هذا الحد من الصمت! ولا نأمة .

أوليس : حين أنظر إليهم أسمع قعقعة الأسلحة والفوضى .

تيليماكوس : مئة عروس عريسها الموت .

«ضجة الحرب تتزايد . الخاطبون يبدأون بالحركة» .

أوليس : أنظر يا نستور ويا تيرزيتيس إلى جوقتي اليونانية الصامتة .

تيليماكوس : تستطيع أن تتحدث إلي يا أبي . فأنت في بيتك .

أوليس : فمن هم إذاً تلك الأشباح الصامتة التي تعبر جداري ؟

تيليماكوس : ما الذي يحدق إليه ؟ ساعده يا إيومايوس .

أوليس : أنظر . أنا لن أحارب الطرواديين . عقلي ليس على مايرام .

إيومايوس : هذا جنون رأيته عليه من قبل .

تيليماكوس : متى ؟

إيومايوس : حين كنتَ طفلاً . ولقد عاد إليه الآن .

تيليماكوس : وماذا حدث يومها ؟

إيومايوس : إختبار . أضجعوك في خندق .

تيليماكوس : في بستان ؟

إيومايوس : ووقف . كنت على بعد إنشات عن محراثه .

أوليس : أنظروا . «يشير إلى الخاطبين» .

طروادة مهاد . طروادة مطر . جراح . أمراض متقرحة .

بيلي بلو : مجد طروادة .

أوليس : سأقتلك لأنك تحكي للأولاد تلك الكذبة .

«يقفز على بيلي بلو ويمسك به بقوة» .

إيومايوس : إنه صوت مشرد جواب يا أوليس .

«صمت» .

إنْ قتلتَه ستعكّر نبع الشعر .

«ينهض الخاطبون كمحاربين» .

بيلي بلو : عقله منخلع من مكانه . من جدران طروادة .

أوليس : ظلال رابضة تحت ضوء النجوم . متوالدة من حصان خشبي .

تيليماكوس : أبي...

أوليس : فوق حجارة ميتة سمعت هيكوبا تبكي .

إيومايوس : إنتظروا . هذه هي الصدمة التالية التي هي ندامة الحرب .

«أوليس يتعثر بجثة أنتينوس» .

أوليس : ولم سحب المد جذع هذه الشجرة إلى بيتي ؟

تيليماكوس : هذا أنتينوس . وليس جذع شجرة . بل لعله هكذا كان .

أوليس : الصورة الباصقة لأجاكس . الأنف المعقوف ذاته .

إيومايوس : هذا ليس أجاكس .

أوليس : ليس هو ؟ فأين أوليس إذاً ؟

تيليماكوس : هنا .

أوليس : أنظروا إلى أجاكس الذي يمشي بهذه الغطرسة الطافية .

«أنتينوس/ أجاكس يتحرك مبتعداً ببطء ثم يخرج» .

تيليماكوس : سيدي .

أوليس : قطعوني في الجحيم . ولكنني لا أستطيع أن أواجه ترس آخيل .

تيليماكوس : لقد عاد الترس . ورتبت الحراب على رفها .

أوليس : أنظروا إليه وهو يطوف عبر نتانة ساحة المعركة .

إيومايوس : هذه الصور تتصاعد من الترس . وليست بصوره هو .

أوليس : منذ متى تنتتصب الجذوع واقفة ثم تمشي فراسخ فوق الماء .

إيومايوس : إنه يصارع الإله من أجل عقله .

أوليس : «يصرخ» بوزيدون!

«يقذف بتيليماكوس بعيداً» .

تيليماكوس : البحر لا يستطيع الدخول . توقف . توقف . أرجوك يا أبي .

«تدخل بنلوبي» .

بنلوبي : أكان يجب أن تخوض إلى هذا العمق في الدم ؟
أوليس : للوصول إلى شاطئك .
بنلوبي : هذا المتسول الداهية هو أذكى الخاطبين .
أوليس : لكي يستطيع المطالبة ببيته .
بنلوبي : أي بيت ؟ تعني هذا المسلخ ؟
أوليس : ولقتل خنازيرك يا شيرشي .
بنلوبي : وتجعل من سيدتهم عشيقتك ؟
أوليس : ماذا كنت تريدينني أن أفعل ؟ فمن أجلك أنت قتلت .
بنلوبي : ومن أجل هذا أبقيتُ أنا على فخذيّ مقفلين طوال عشرين عاماً .
أوليس : نادي أنتينوس لتري إن كان سيجيب .
بنلوبي : لقد ذهب إلى فراشه المعتم الخاص به .
أوليس : على الأقل وحده .
بنلوبي : شق طريقك بين البشر . وقطع أغصانه .
أوليس : من أجل طريق معك أنا على استعداد لأن أقطّع غابة كاملة .
«يريها تعويذة» .
أنظري . ها هو البروش الذي كان زوجك يحتفظ به في الحرب .
بنلوبي : ربما اقتلعته من جثته أيها القمّام* .
أوليس : لم تنجح الأمواج في ترخية رباطه . أنظري ودعي عينيك تجيبان .

* الذي يقتات على القمامة .

بـنـلـوبـي : هذه ليست طروادة . وأنا لست عاهرة مينيلاوس .

أولـيـس : يا حبيبتي . أترين هاتين اليدين الملطختين بالدم ؟ سأغسلهما بدموعي .

بـنـلـوبـي : هاتان الجزّارتان اللتان صبغتا الحوض الإيجي كله .

أولـيـس : وهذا الخاتم .

بـنـلـوبـي : وبحيث ما من غسيل يستطيع أن ينظفه ؟

أولـيـس : شكراً .

بـنـلـوبـي : أهذا مثال بذيء لابني ؟

تيليماكوس : لا .

بـنـلـوبـي : تحويل هذا المكان إلى طروادة أخرى . متى سيتعلم الرجال ؟

أولـيـس : أدخلوا جارية المطبخ .

« يوريكليا تدخل ميلانتو » .

ستُشنقين يا بنت .

بـنـلـوبـي : تُشنق ؟

أولـيـس : لوقاحتها .

« إلى ميلانتو » .

أتتذكرين حديثنا في المطبخ ؟

بـنـلـوبـي : هذه طبيعتها ، تلك المسكينة .

أولـيـس : فهي لن تستطيع أن تتغير إذاً .

« يوريكليا تحمي ميلانتو » .

يوريكليا : إنها تنكمش كفأرة تحت صقر منقض من علٍ .

أولـيـس : دعيها تذهب .

بـنـلـوبـي : لا . لن يكون هناك شنق في هذا البيت .

يـوريـكـلـيـا : قولي إنك آسفة أيتها الفأرة الصغيرة . توسلي . إعتذري .

« بنلوبي تحمي ميلانتو » .

بـنـلـوبـي : فلينقضّ الصقر . وليأخذني أنا أيضاً بين مخالبه .

أولـيـس : ستشنق .

بـنـلـوبـي : إرفعونا إلى السماء مع عدالته .

يـوريـكـلـيـا : إنه هو يا مدام .

بـنـلـوبـي : لا . يا إلهي . الصقر صورة إله .

أولـيـس : أنا لست إلهاً . أنا أوليس .

بـنـلـوبـي : زيوس غريب .

أولـيـس : فليتعلموا أن لايكونوا متوحشين مع من هم في الأسمال .

بـنـلـوبـي : ألا يلقي أحد بهذا المتسول خارج بيتي ؟

يـوريـكـلـيـا : لا .

بـنـلـوبـي : لقد رآني وأنا أحل حياكة الوشاح للايرتيس .

تـيـليـماكـوس : ولكن القوس يا أمي .

بـنـلـوبـي : تعلّم من محاولات الخاطبين .

تـيـليـماكـوس : « لأوليس » والدموع التي طهرت وجهك ؟

أولـيـس : دموع أب زائف .

بـنـلـوبـي : إنه بارع في التقليد وسخي بالدموع .

« أوليس يقترب من إيومايوس » .

أولـيـس : لقد بذرنا بذرة صنوبرة . قل لها ما تقوله الآن .

إيـومـايـوس : أوراقها تصر على النداء : « أوليس . أوليس » .

بـنـلـوبـي : الأوراق تكذب .

تـيـليـماكـوس : لقد شد القوس .

بـنـلـوبـي : ثم ساعدته أنت على قتل الخاطبين .

يـوريـكـلـيـا : والندبة ؟

بـــنـــلـــوبـــي : قصة التقطها من إيومايوس .

تيليماكوس : أأنت عديمة القلب إلى هذه الدرجة ؟ لتحكمي على حب أب ؟

بـنـلـوبـي : لا . بل هذا هو . فلنقل سريرنا يا أوليس .

يـوريـكـلـيـا : إذهب . أنت تسمع ما طلبته .

أولـــيــــس : سرير كسريرها لا أستطيع أن أنقله أو أحركه .

بـنـلـوبـي : قل لي لماذا من فضلك .

أولـــيــــس : سريرنا له جذور . قاعدته شجرة زيتون .

بـنـلـوبـي : يا إلهي . سأغسل يديك بهذه الدموع يا أوليس .

« يتعانقان » .

أولـــيــــس : آه حين كان هذا الجسد المرهق ينزلق في البحار المذهلة...

بـنـلـوبـي : حين كنت أركع مثل زيتونة تمد جذورها في الصلاة...

أولـــيــــس : حين كان الرذاذ يعميني إلى أن أفقد الإيمان بالدموع...

بـنـلـوبـي : حين سنة بعد أخرى لم يحرك أي شراع شجرة الزيتون...

أولـــيــــس : مايزال البحر يهتز في جسدي . أتسمعينه ؟

بـنـلـوبـي : البحر قد هدأ ومغامراتك كلها قد اكتملت .

أولـــيــــس : دعيني محاصراً بين ذراعيك وفي مرفأ قلبك .

بـنـلـوبـي : مدّ جذورك يا صنوبرتي ، يا ظلي ، يا مبرر صبري .

أولـــيــــس : أحولني البحر إلى هذا الحطام الذي لم تستطيعي التعرف إليه ؟

بـنـلـوبـي : نعم . لقد قسّت التجارب وجهك وجوفت وجهي .

أولـــيــــس : أأبعده ؟

« يحوّل وجهه » .

بنلوبي : لا .

«تدير وجهه نحوها» .

أوليس : أغرقيني في هاتين العينين .

بنلوبي : صار فيهما الآن ظلال . أحزان امرأة .

أوليس : يا بنت...

بنلوبي : حاولوا خنق الحب مثل طير ، ولكن...

أوليس : كنت أصلي طالباً أن لا ينجحوا ، يا حمامتي ، ويا سلامي ، ويا عقلي .

بنلوبي : لقد رفرفتْ بجناحيها . وتظاهرتْ بالموت .
ولكن قلبها الدافئ ظل يخفق .

أوليس : وكان البحر يضربني بكل ما يقع تحت يديه .

يوريكليا : سأُغطّس إسفنجة في الماء وأمسح بها عيونكما .

إيومايوس : سأنقل الأنباء إلى أبيك في التلال البرية .

بنلوبي : سأزيّت أطرافك السمراء كما زيّتّ القوس يا أوليس .

تيليماكوس : سأسمع فرحة أثينا كلما زقزقت سنونوة .

«تدخل أنتيليكا» .

أنتيكليا : ألم يكن هذا هو الوعد الذي قطعته لك يا أوليس ،
وأنت تعبر الكهوف المدهونة بالعسل ، أيايا وساموس وكريت ،
حيث الصلصال الغريق كان يهمس مثل زبد من النحل ،
والنسيم يلمّع البحر بقدمي أثينا ؟
وهو أنه في الظل المعقوف للسنديانة سترتاح
وتهدأ كتمثال ، ودعامتك مقعد حجري .
وأنه هنا في هذه الحديقة ستنهي أيامك .

مع ذكريات أحلى من المتاهة العسلية ؟
وفيما الرذاذ الليلكي الأبيض يتساقط على كتفيك ،
وفيما مناجل الحصادة تصبح مجاديف تدور بين العشب ،
الآن يخفق قلبك ، ليس من جلمود السيكلوب
بل من أجل أن تمر نبوءة أمك ؟

أثـــيـــنـــا : حين كلل الغار الزبدي جبين أجاكس الغارق ،
وحين شباك الضوء على البحر تصطاد أغاممنون ،
وحين ينضم ترس آخيل إلى رماح آلامهم
فإن ميناء البيت هو ما يقصده طوافك .
أليس هذا موج البراعم الذي وعدتك به يا أوليس ؟
أليس هذا هو السلام الذي تمنحه الآلهة للبشر في أشعة الضوء ؟

بـنـلـوبـي : هل ستشتاق للبحر ؟

أولـــيـــس : الكهوف التي يلجأ إليها سمك الإسقمري .

بـنـلـوبـي : هل ستشتاق ؟

أولـــيـــس : السلاحف التي ترزح تحت تروس أصدافها .

بـنـلـوبـي : كل العجائب الجميلة .

أولـــيـــس : نعم .

بـنـلـوبـي : أكانت هناك أشياء غريبة في الخارج ؟

أولـــيـــس : غيلان . فلتحفظنا الآلهة .

بـنـلـوبـي : لماذا ؟

أولـــيـــس : لأننا نجعلها نحن .

«صوت البحر . يدخل بيلي بلو» .

أثـــيـــنـــا : «تغني»

بقوة شُدّ قوس هذا المرفأ بيديك الضريرتين
وسدد سهم الضحالة من الرؤوس البحرية الجبلية
إقطف أسلاك البحر ، أيها الشاعر .
وإلى أن تغنّي الجزر الزرقاء
ما سمعته ورأيته بعينيك المبيضتين .
« موسيقى » .

بيلي بلو : « يغني »
غنيت عن ذلك الرجل الذي مازال البحر يغلي غضباً منه
والذي نجا من أهواله ، والذي لم يستطع أن يدمره اليأس
ومنذ المغني الأعمى الأول ، سيظل المغنون يغنون عبر العصور
عن القلب في مرفئه ، ثم السنوات الطوال بعد طروادة ، بعد طروادة .
وعن بيت ، سعيد في النهاية ،
من بشارة سنونوة والأمواج التي تهمس : آمين .
ومن أجل صخرة ، صخرة ، صخرة ، امرأة راسخة كالصخرة ،
دع الأمواج تصفق بيديها والتموجات تهمس : آمين .
ومن أجل ذلك السلام الذي تمنحه الآلهة برحمتها للبشر .
«تلاشي إضاءة . صوت الأمواج » .

ديريك والكوت

نوبل ١٩٩٢

- ولد ديريك والكوت عام ١٩٣٠ في سانت لوشيار في جزر ويندورد في الإنديز الغربية .
- يوزع وقته بين ترينيداد وبوسطن حيث يعلم الانكليزية في جامعة بوسطن .
- بين مسرحياته العديدة «حلم على جزيرة القرود» و«الكرنفال الأخير» .
- نشرت ملحمته «أوميروس : هوميروس» عام ١٩٩٠ وفازت بجائزة و . هـ . سميث الأدبية .
- فاز عام ١٩٨٨ بالميدالية الملكية الذهبية للشعر .
- وفاز بجائزة نوبل عام ١٩٩٢ .

ISBN => 2-84305-108-8
EAN => 9782843051081